

راينار ماريا ريلكه

رسائل إلى صديقة من البندقيّة
وأربع رسائل إلى لو أندرياس سالومي

ترجمة حسونة المصباحي

ترجمة

راينار ماريا ريلكه

رسائل إلى صديقة من البندقيّة
وأربع رسائل إلى لو أندرياس سالومي

ترجمة حسونة المصباحي

خطوط وظلال
للنشـر والتـوزيـع

الأردن، عمّان، جبل الحسين، بناية (٢٠)
تلفون: 5746218 79 962+ - 4651846 6 962+
email: dar5otot@gmail.com
ص.ب: 11190، عمّـان 925220 الأردن

رسائل إلى صديقة من البندقيّة
وأربع رسائل إلى لو أندرياس سالومي - راينار ماريا ريلكه
ترجمة حسونة المصباحي - الطبعة الأولى، ٢٠٢١

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٣٧٢٧/ ٩/ ٢٠٢٠)

٩٢٨.٣

مصباحي، حسونة
رانيار ماريا ريلكة/حسونة مصباحي ــ عمان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع ٢٠٢٠
(١٠٠) صفحة
ر.إ.: (٣٧٢٧/ ٩/ ٢٠٢٠)
الواصفات: /السيرة الذاتية//الأدباء الالمان//تراجم الادباء//الشعراء/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9923-40-088-3

راينار ماريا ريلكه

رسائل إلى صديقة من البندقيّة
وأربع رسائل إلى لو أندرياس سالومي

ترجمة حسونة المصباحي

....

تذهب دار خطوط للنشر والتوزيع إلى أمداء طَموحةٍ عبر الانتصار للنصوص الإبداعية المتجاوزة، وإيلاء الفعل الجماليّ اهتمامًا كبيراً بكونه فَخًا بصريًا، ولَذَّة كامِنةً لِصفات الكتابِ الذي سيوقع القارئ في لَذَّة الصورةِ و تمثُّلاتها المعرفية المتحركة.

نقارب بين ثقافاتٍ مختلفةٍ من خلال الترجمة، مؤمنين بأن الاختلاف عافية للقارئ والمبدع معا.

خطوط حبر يفيض في كل الحقول .....

مقدمة:

بالرغم من المكانة العالية التي يحتلها الشاعر الألماني راينار ماريا ريلكه في الشعر العالمي، فإنه لا يزال شبه مجهول في لغة الضاد. والترجمات القليلة التي أنجزت للبعض من آثاره لا تكاد تفي بالحاجة، خصوصا وأنها تمت عن طريق لغة ثانية، غير لغته الأم. ولأنه كان رحّالة لا يتعب، ولا يملّ فقد ترك ريلكه أعمالا شعرية تعكس أماكن ارتيادها، ومدنا زارها، وتجول في متاحفها، وبحارا أحبها، وجبالا تمشّ فيها وحيدا، وأنهارا وقف أمامها متأملا مصيره، ومصير الانسانية جمعاء. كما أنه ترك لنا ايضا أعمالا شعرية تعكس قلق الانسان في القرن العشرين، وأيضا رعبه أمام الموت، وسعادته أمام الحب.

ولد راينار ماريا ريلكه -الذي يعتبره ستيفان زفايغ، أعظم شاعر في اللغة الألمانية بعد غوته، في الرابع من ديسمبر ١٨٧٥. وكان والده قد أصبح عاملا في السكك الحديدية بعد أن فشل في الحياة العسكرية أما والدته فقد كانت ابنة تاجر ثري كان في الوقت ذاته مستشارا لدى القصر في العاصمة التشيكية.

في المدرسة، أبدى الطفل رنيه -هكذا كان اسمه في البداية-نبوغا مثيرا للانتباه. وبعد انفصال والديه عام ١٨٨٥، دخل الفتى المراهق المدرسة الحربية في «سان- بولتن» في النمسا. في الآن نفسه أخذ يقرض الشعر، ويلتهم الكتب، ويمضي الساعات الطويلة في التأمل والحلم. ويبدو أن سنوات المدرسة الحربية لم ترقْ له. ومن المؤكد أنها اتسمت بالقسوة والمرارة والخشونة

من حيث المعاملة، الشيء الذي جعله يصفها فيما بعد ب«سنوات الرعب».

في ربيع عام ١٨٩٢، عاد ريلكه إلى براغ حيث تكفّل به عمّه ياروسلاف ريلكه الذي كان محاميا ونائبا في البرلمان. وعملا بنصيحة هذا الأخير، واصل الفتى دراسته في الحقوق. في الوقت ذاته، أخذ يتردّد على الحلقات الأدبية في العاصمة التشيكية. وبعد ثلاث سنوات انقطع ريلكه عن دراسة الحقوق، لينتقل إلى الفلسفة، وتاريخ الفن والأدب الألماني. وفي تلك الفترة أخذ يوزّع قصائده في الشارع، مُشاركا في تحرير إحدى المجلات الأدبية. وفي خريف عام ١٨٩٦، غادر ريلكه براغ ليستقر في ميونيخ عاصمة مقاطعة بافاريا الألمانية، ليواصل هناك دراسة الفن. وبعد أن قام بعدة رحلات إلى العديد من المدن الألمانية والايطالية، التقى بلو اندرياس سالومي التي أعجبت بذكائه وبكتاباته وبعواطفه النبيلة، وبقدرته الفائقة على التحليق بعيدا في عالم الحلم والخيال. وكان ذلك اللقاء بين الشاعر الشاب والمرأة المثقفة التي فتنت قلوب العديد من كبار الفنانين والشعراء في عصرها، وكان نيتشه واحدا من بينهم، ممهدا لعلاقة حميمة امتدت لسنوات طويلة، وجسّدت في الأدب الألماني الحديث أنبل مشاعر الحب والصداقة بين امرأة ورجل.

وبينما كان القرن التاسع عشر يمضي حثيثا إلى نهايته، انشغل ريلكه بالسفر، وحطّ رحاله في العديد من المدن التي كانت تعج في ذلك الوقت بالفنانين والشعراء مثل برلين وهامبورغ وروما... وكانت تلك الرحلات المتواصلة بين المدن تشحنه دائما بطاقة جديدة، وتدفع به إلى الكتابة بشكل محموم فاتحة

خياله على آفاق كانت لا تزال مجهولة بالنسبة إليه حتى ذلك الوقت. ويبدو أن الرحلتين اللتين قام بهما ريلكه إلى روسيا بصحبة لو اندرياس سالومي عام ١٨٩٩، وعام ١٩٠٠، كانت من أمتع وأخصب الرحلات بالنسبة له. فقد تركتا في نفسه أثرا عميقا، وعمقتا تجربته الفكرية والشعرية، وأتاحتا له فرصة تعلم اللغة الروسية الشيء الذي سوف يساعده في ما بعد على ترجمة العديد من الشعراء الروس إلى اللغة الألمانية. وبالرغم من أنه قام بعد ذلك برحلات كثيرة إلى العديد من المدن والأماكن فإنه ظل مشدودا إلى تلك الانفعالات العنيفة التي هزّت روحه يوم التقى الكونت تولستوي في ضيعته، وتجول في الكرملين، وتاه في كنائس يطرسبورغ القديمة، واستمتع بمشاهدة الايقونات ولوحات للرسامين الروس، ووقف على المرتفعات مع لو اندرياس سالومي ليتأمل مدينة كييف العتيقة.

وفي عام ١٩٠٢، استقر ريلكه في باريس. وبعد لقائه بالنحات الشهير رودان قرّر أن يصبح سكرتيره الخاص. وفي رسالة إلى لو اندرياس سالومي بتاريخ ٨ أوت ١٩٠٣، كتب يقول: «لقد أدركت منذ المرة الأولى حين ذهبت للقاء رودان، أن بيته ليس مهما بالنسبة له، وأنه قد يكون مجرّد ضرورة بائسة، سقفا يحميه من الأمطار والريح، وأنه ليس مصدر قلق، ولا عبئا على وحدته وانعكافه. ذلك أن رودان يمتلك في أعماقه عتمة البيت وهدوءه وأنه نفسه السماء التي تمتدّ فوقه، والغابة التي تحيط به، والمدى، والنهر الذي لا ينقطع البتة عن التدفق. يا له من متوحّد هذا العجوز الذي إهترأ واقفا، مُفعما بالنسغ مثل شجرة قديمة في الخريف».

وحين أخذت «المدينة الأجنبية الكبيرة» أي باريس، تزعج الشاعر، وتثقل نفسه بالهواجس والمتاعب، رحل عنها قلقا إلى مدن أخرى مثل برلين وفلورنسا وفينيسيا، وليس معه غير تلك الدفاتر التي كان يملأ صفحاتها كل يوم بتلك القصائد والنصوص التي سوف تخلّده في ما بعد. ولما وصل إلى روما، وكان ذلك في بدايات عام ١٩٠٤، شرع ريلكه في كتابه أثره العظيم: «كراسات لوريدز بريجه» الذي ولدت فكرته في باريس. وكان عليه أن يمضي ثمانية أعوام كاملة لإنهائه. وفي أثره هذا عمّق مفهومه للعلاقة بين التجربة والعمل الفني حيث يقول: «ان الأبيات الشعرية ليست كما يتصور البعض عواطف (نحن لنا عواطف منذ سن مبكرة)، وإنما هي تجارب. لكي نكتب بيتا واحدا من الشعر، لابد أن نكون قد شاهدنا كثيرا من المدن، ومن البشر، ومن الأشياء. وعلينا أن نعرف الحيوانات. وعلينا أيضا أن نحسّ كيف تطير الطيور، وأن نعرف ما هي الحركة التي تقوم بها الأزهار حين تتفتح في الصباح. ولابد أن نفكر من جديد في مناطق مجهولة، وفي لقاءات غير متوقعة، وفي رحيل كنا نترقب قدومه منذ وقت طويل وفي أيام طفولة لم تنكشف ألغازها بعد، وفي آباء كان لابد من أن نجرح مشاعرهم حين يُقدّمون لنا فرحا لا ندرك معناه، ولا نقدّر قيمته (فرح مأهول للآخر)، وفي أمراض طفولة كانت تبدأ بدايات غريبة بتحولات عميقة وخطيرة في آن واحد، وفي أيام قُضيت في عزف صامت، وفي صباحات على شاطئ البحر، وفي البحر نفسه وفي بحار وفي ليالي سفر ترتعش هناك في الأعالي، وتطير مع كل النجوم..»

وفي عام ١٩١٢، سافر ريلكه الى الجزائر، ومنها إلى تونس .ومن تونس، انتقل ريلكه إلى القيروان، المدينة الاسلامية الأولى في شمال افريقيا. وهناك اكتشف جوانب أخرى من الحضارة الاسلامية: جوانب التصوف والزهد والايمان. ومن تونس سافر ريلكه إلى مصر ليعيش تجربة عميقة أخرى أمام الآثار الفرعونية، وأمام أبي الهول الذي رقد عند قدميه عند الغروب ليشعر في الحين بأنه «منفيّ عن نفسه، وعن حياته".

تواصلت رحلات ريلكه بعد ذلك بنفس النهم والشوق والتوق إلى المعرفة، والاكتشاف وتعميق التجربة الحياتية والشعرية. وأثناء ذلك كانت المدن والبحار والانهار والجبال تنسلخ من واقعها لتتحوّل إلى قصائد من خلالها يصيغ هواجسه، وتأملاته وتجاربه وأحلامه ومخاوفه أمام شرور العالم. وكان الحب يشغله طوال الوقت، إذ أن الحب بالنسبة له هو مثل كل الأشياء العميقة في الحياة، لابد أن يكون دائما وكأنه بداية جديدة. لذا كان عليه أن يواصل الترحال والتنقل من تجربة حب إلى أخرى، بحثا عن تلك البداية التي بدونها يجف الحب كما «يجف الماء في الطين». وفي العديد من كتاباته ورسائله، عبر ريلكه عن احتقاره لأولئك الذين لا يولون الحب الاهتمام اللائق به، بل ويعتبرونه في غالب الأحيان ضربا من ضروب التسلية التي لا تتعدى تلبية الرغبات الجسدية سريعة الزوال. وفي هذا الشأن كتب يقول: «لابد من التعامل مع الحب تعاملا جديا، ولابد أن نمارسه مثلما نمارس فعلا نبيلا وساميا» ثم يضيف قائلا: «ان الحب هو الفرصة الوحيدة لكي ننضج، نكتمل ويتحوّل الواحد منا إلى كائن منذور للحب، حبّ الكائن الذي يحبّ. ان الحب

تمرين عظيم للوحدة والتركيز والولوج إلى أعماق النفس».

مع نهاية الحرب العالمية الأولى، كان ريلكه قد أصبح شاعرا مشهورا، لا في المانيا فحسب، بل وفي جميع أنحاء اوروبا، وكانت أعماله الشعرية والنثرية قد أصبحت تتصدر قائمة أهم الأعمال الابداعية التي تثير اعجاب النقاد والقراء على حد سواء. وكان قد بدأ يعيش قصة حب جديدة مع شابة مصرية التقاها في القطار الذي يربط بين لوزان وجينيف، لما ساءت صحته فجأة. ورغم ذلك واصل رحلاته وعمله واتصالاته بأصدقائه من الشعراء والكتاب والمفكرين. وفي ٢٩ ديسمبر ١٩٢٦، وعند طلوع الفجر على جبال سويسرا المكسوة بالثلوج، أسلم الروح تاركا تراثا شعريا عظيما، لا يزال متوهجا حتى هذه الساعة... وربما سيظل كذلك إلى الأبد.

رحلة راينار ماريا ريلكه إلى تونس ومصر

منذ مطلع شبابه وحتى وفاته، ظل راينار ماريا ريلكه مسافرا أبديا. وكان القصيد وطنه الحقيقي. ذاك القصيد الذي لم يكن يكتبه إلا بعد أن يكون قد قطع مسافات طويلة، وشاهد مدنا كثيرة، وعشق بحارا بلون البنفسج، واستنشق نسيم صباحات مفعمة بالضوء، وهمس بكلمات حب لامرأة جميلة في ضوء القمر الشاحب. وكانت الرحلة الأولى التي كان لها تأثير كبير عليه هي تلك التي قام بها إلى روسيا عام ١٨٩٨ بصحبة صديقته لو اندرياس سالومي والتي كررها عام ١٩٠٠ حيث التقى الكونت تولستوي. عنه كتب يقول واصفا اياه خلال جولته القصيرة معه في حديقة البيت: «في لحظات معينة، عندما تنفخ الريح في معطفه، كان شبح الكونت يصبح هائل الحجم. وكانت لحيته الطويلة تأخذ في الاهتزاز. أما وجهه الصارم الذي طبعت عليه الوحدة آثارها، فكان يظل هادئا ممتنعا عن الألم لا مباليا بالعاصفة».

وفي عام ١٩٠٢، سافر راينار ماريا ريلكه إلى باريس عازما على الاقامة فيها. وبعد مضي ثلاثة أيام على وصوله إلى هناك كتب رسالة إلى زوجته كلارا التي ظلت في المانيا، يقول لها فيها: «إن باريس التي هي بحق مدينة أجنبية كبيرة، بقيت جد غريبة عني. إن المستشفيات التي نراها هنا في كل مكان تقريبا تخيفني. وأنا الآن أفهم لم هذه المستشفيات تتكرر بلا نهاية عند فرلين وبودلير ومالارميه. في جميع الشوارع نحن

نـرى مـرضى يـترددون عليهـا سـيرا عـلى الأقـدام أو في سـيارات. ونحـن نحـدس فجـأة أن هنـاك في هـذه المدينـة الكبـيرة كتائـب مـن المـرضى، وجيوشـا مـن المحتضريـن، وشـعوبا مـن المـوتى». إلاّ أن ريكلـه سرعـان مـا يعشـق باريـس كـما لم يعشـق مدينـة أخـرى، وهــذا مـا سـوف يتضـح في كتابـه النـثري الرائـع: «دفاتـر مالطـه لوريدزبريجـه» الـذي انهـاه في فبرايـر/ شـباط١٩١٠، بعـد ذلـك، وعقـب اسـتراحة قصـيرة عنـد زوجتـه في المانيـا انطلـق إلى ايطاليـا ثـم إلى الجزائـر وتونـس ومـصر التـي أمـضى فيهـا الشـتاء الفاصـل بـين ١٩١٠ و١٩١١.

ويبـدو أن ريلكـه لم يمكـث طويـلا في الجزائـر، ولعلـه كان مُتَعكّـر المـزاج لـذا نحـن لا نعـثر عـلى أي صـدى لهـذه الرحلـة في رسـائله، أو في غيرهـا. أمـا عـن تونـس التـي وصلهـا في ديسـمبر/ كانـون الأول ١٩١٠، فقـد تجـول فيهـا كثـيرا متوقفـا عنـد خصائـص المعـمار والحيـاة فيهـا. وفي الرسـالة التـي بعـث بهـا إلى زوجتـه كلارا بتاريـخ ١٧ ديسـمبر، كتـب يقـول واصفـا مشـاعره وأحاسيسـه أمـام مـا شـاهد ومـا رأى: «هنـاك أحيانـا في الأسـواق مـا يجعـل عيـد الميـلاد سـهل التخيّـل. مسـاكن صغـيرة تفيـض منهـا العديـد مـن الأشـياء الملونـة، والأقمشـة جـد غنيـة وجـد مدهشـة، والذهـب لـه لمعـان واحـد حتـى أننـا نخـال أننـا سـوف نحصـل عليـه كهديـة في اليـوم التـالي. في المسـاء، عندمـا يكـون هنـاك مصبـاح يحـترق ويترجـرج أمامنـا، كـما لـو أنـه مُسـتثار بسـبب حضـور كل مـا كان ضـوؤه يلامسـه، عندئـذ كل مـا في الكائـن مـن انتظـار وتوتـر ورغبـة يمتـزج بـ«ألـف ليلـة وليلـة»، ويصبـح عيـد الميـلاد ممكـن الوقـوع هنـاك. لكـن حتـى في الصبـاح، لا أنقطـع البتـة عـن الشـعور بالافتتـان بمـا

تحدثـه الشـمس لما تدخـل الأسـواق كـما مـن خـلال غربـال. وهناك حـين يسـقط شـعاعها يجعـل هـذا الـشيء أخـضر شـفافا، وذاك أحمـر حارقـا، والآخـر خبازيـا شـديد الإسـتكانة. واليـوم خـلال حصة بيـع بالمـزاد العلنـي لجبائـب وبرانيـس، كان هنـاك إحسـاس بأننـي أمـشي بـين الأحجـار الكريمـة. ومقتربـا مـن قـماش، بـدا لي أننـي ألـج لونـه الأخـضر الباهـت، وأننـي اجتـاز لونـه البنفسـجي، أو أننـي أمـشي بمحـاذاة لونـه الأصفـر الـذي يشـد النظـر إليـه دومـا كـما لـو أنـه صحـوة متوهجـة في السـماء. في سـوق العطاريـن أصبـح لي صديـق. حـين أمـد يـدي لمصافحتـه، فـإن هـذا يكـون كافيـا عـلى مـدى النهـار بكاملـه، وفي الليـل أسـتيقظ بأصابـع مُعَطـرة بشـكل غريـب. لقـد طلبـت منـه عطـر الغرنوفيـات الـذي يبـاع هنـا كـما لـو أنـه مـاء الـورد. أن أطلـب منـه هـذا وليـس عطـرا، وهـذا مـا راق لـه. عـلى هـذا انبنـت صداقتنـا».

مـن تونـس انتقـل ريلكـه إلى القـيروان، المدينـة الاسـلامية الأولى التـي أنشـأها عقبـة بـن نافـع الفهـري سـنة ٦٧٠ ميلاديـة. وهنـاك اكتشـف جوانـب أخـرى مـن الحضـارة الاسـلامية: جوانـب التصـوف والزهـد والايمـان. وفي رسـالة بتاريـخ ٢١ ديسـمبر، يشـير إلى أن القـيروان مدينـة مقدسـة. والـشيء الـذي أعجبـه أكـثر مـن غـيره هـو جامعهـا الأعظـم الـذي اسـتخدمت في بنائـه أعمـدة كثيرة مـن آثـار قرطـاج والمـدن الفينيقيـة والرومانيـة. ويشـير ريكلـه أيضـا إلى أن القـيروان تقـع وسـط السـهول، وأنهـا محاطـة بالمقابـر لـذا هـي بـدت لـه وكأنهـا محـاصرة بالمـوتى. مـوتى راقـدون حولهـا يـزدادون عـددا ولا يتحركـون أبـدا». وقـد بـدأ اهتـمام ريكلـه بالاسـلام في وقـت لاحـق لرحلتـه هـذه. ويبـدو أن هـذا الاهتـمام قـد ازداد

قـوة بعـد قراءتـه لـ«الديـوان الشرقـي» لغوتـه. ولعـل القصيـدة التـي كتبهـا عـن الرسـول محمـد هـي مـن تأثـير هـذه القـراءة. في هـذه القصيـدة يقـول:

لما تبدّى الملك الطاهر

ذو الملامح المعروفة والنور الباهر

تبدّى رائعا له في خلوته – خلع

كل كبرياء وخيلاء وتوسل

إلى «التاجر» - وقد اضطرب

باطنه اثر اسفاره – توسل إليه أن يبقى

لم يكن قارئا – وها هي ذي «كلمة»

كلمة عظيمة حتى بالنسبة لحكيم

لكن الملك وجّهه بمهارة

إلى ما كان مسطورا في لوح

ولم ييأس، بل ظل

يردد دائما: اقرأ

فقرأ حتى انحنى الملك

وأصبح ممن

يعرفون كيف يقرأون

ويستمعون ويُتمّمون الرسالة»

أمّا رحلة ريلكه إلى مصر فكانت أبلغ تأثيرا عليه من رحلته إلى تونس. فقد أتاحت له فرصة التعرف عن كثب على الحضارة الفرعونية. تلك الحضارة التي فتن بها العديد من شعراء الغرب وكتابه وفلاسفته. في رسالة بعث بها إلى زوجته كلارا بتاريخ ١٠ يناير/ كانون الثاني، كتب ريلكه يقول: «اليوم الأول على ضفاف النيل. لقد هبط الليل، ليل أزرق. حلوان لابد أن تكون على الضفة اليمنى، أمامنا. لقد دلني بعض المسافرين على أضوائها. فنحن صعدنا على ظهر السفينة قبل قليل، وقد اجتزنا مرتين الواحة التي يرقد فيها رمسيس كما لو أنه الكائن الأوحد في العالم. هو يرقد وحيدا مع نفسه، تحت اتساع الفضاء لقد رأيته اذن قبل أن أرى شيئا آخر. لذا حرصت أن أعلمك بذلك».

في اليوم التالي، كتب إلى زوجته رسالة يقول فيها: «اليوم لن تتوقف سفينتنا في أي مكان. كل شيء سوف يأتي لنا بينما سفينتنا تمخر عباب النهر. بني سويف مدينة كبيرة بصوامع بيضاء وقصر أخضر(يبدو أن هذا القصر الأخضر اختفى الآن من الوجود كما أشار إلى ذلك د.عبد الرحمان بدوي)وأحياء مشيدة بلبن النيل غائصة في الأرض، وقرى عديدة بين النخيل العالي، وأديرة قبطية صغيرة ومقاطع حجر وسلسلة من الجبال تنتهي فجأة في النيل على شكل شناخات. كل حياة الضفة تبدو لنا واضحة من حضور الطيور إلى التتابع البسيط للقرى البنية التي تمتد على طول مياه النيل المباركة. وثمة مجموعات من الرعاة والتجار، وجموع وراء جنازة سرعان ما تختفي، ومعزولة الاشباح العمودية لحاملات الماء تتقاطع مع أشباح الصاعدات من النهر. ثم فجأة، على قمة شناخ مستدير طائر من الطيور

الجـوارح يترصـد ضحيـة. اقـترب الليـل شـيئا فشـيئا. الآن أصبـح الهـواء منعشـا فـوق السـفينة. والألـوان لم تعـد غـير تنويعـات عـلى اللـون البنـي. هـذا اللـون الـذي يبـدو وكأنـه لـون وردي. الحقـول خـضراء كـما في المنمنـمات. وأنـا أتعلـم شـيئا فشـيئا كيـف اسـتلذ جـمال اللونـين الأسـود والأزرق للأشـباح كـما لـو أنهـما لـون واحـد يتحتـم التعامـل معـه مثـل حجـر كريـم. هـذا المسـاء سـوف نصـل إلى المنيـا حيـث نمـضي الليـل هنـاك».

مـن الأقـصر بتاريـخ ١٨ ينايـر/ كانـون الثـاني، كتـب ريلكـه إلى زوجتـه يقـول: «سـوف نمـضي في الأقـصر ثلاثـة أيـام. غـير أنـه مـن الأفضـل أن نتوقـف هنـا وقتـا أطـول، ولا نكـون مجبريـن أن نـرى لـكي لا نقـول في وقـت لاحـق أننـا قـد رأينـا الكثـير. عـلى الضفـة الشرقيـة حيـث رسـت سـفينتنا، ينتصـب معبـد الأقـصر بصـفّ أعمدتـه العاليـة اللوتسـية الشـكل. وعـلى مسـافة نصـف سـاعة مـن هنـا، معابـد الكرنـك. هـذا العـالم الـذي مـن الصعـب حـلّ ألغـازه، رأيتـه منـذ اليـوم الأول، ثـم رأيتـه ثانيـة مسـاء أمـس عنـد أفـول القمـر وأنـا فاتـح عينـي عـلى اتسـاعهما. الهـي! إن الانسـان ليحشـد خاطـره ويتأمـل بـكل مـا لايمانـه مـن ارادة، والعينـان مسـلطتان عـلى الداخـل - لكنـه مـع ذلـك يذهـب بعيـدا ويمتـد إلى كل ناحيـة. واللـه وحـده هـو الـذي يسـتطيع أن يحيـط بمجـال الرؤيـة هـذا. هنـاك عمـود بتـاج عـلى شـكل كأس ينتصـب وحيـدا. عمـود اسـتطاع أن يظـل عـلى قيـد الحيـاة. ونحـن ليـس بإمكاننـا أن نـدرك سره لأنـه ينيـف عـلى حياتنـا ونحـن لا نسـتطيع أن نفهمـه بطريقـة مـا إلا في الليـل، تحـت النجـوم التـي عـلى ضوئهـا، يصبـح للحظـة إنسـانيا، حدثـا انسـانيا. وفكـري يـا عزيـزتي كلارا أنـه أبعـد

مـن هنـاك، باتجـاه الغـرب، أبعـد مـن ذراعـي النيـل ومـن البلـد الخصـب، تمتـد الجبـال الليبيـة المزهـرة بضـوء الصحـراء. اليـوم اجتزنـا الـوادي العظيـم حيـث يرقـد الملـوك، جبـل بكاملـه عـلى كل واحـد منهـم، والشـمس تنتصـب فوقهـم كـما لـو أنـه ليـس هنـاك قـوة قـادرة عـلى أن تكـون كافيـة لابقـاء الملـوك محبوسـين».

أمـام معبـد الكرنـك، أصيـب ريلكـه بالذهـول والدهشـة. بعـد مـرور تسـع سـنوات عـلى ذلـك، وتحديـدا خـلال الشـتاء الفاصـل بـين ١٩٢٠ و١٩٢١ سـوف يتذكـر ريلكـه الكرنـك مـن جديـد فيكتب عـن ذلـك قصيـدة رائعـة يقـول فيهـا:

كان ذلك في الكرنك إلى هناك ذهبنا على فرس

هيلانه وأنا، بعد عشاء سريع

وتوقف الترجمان: هنا طريق أبي الهول

آه؟ المدخل، لم أغصْ من قبل

في عـالم جديـد مثـل هـذا! «أهـذا ممكـن ايتهـا العظمـة لقـد عظمـت في نفـسي عظـما مفرطـا

السفر، هل هو البحث؟ الآن قد أصبح غاية

والحارس عند المدخل أشعرنا

بقشعريرة المقدار فلكم كان صغيرا

ازاء ارتفاع البوابة المتواصل!

والآن، وطول العمر كله،

العمود ذاك العمود! أليس كافيا؟

إن التدمير جعله على حق: لقد كان أعلى

من أي سقف لكنه بقي حاملا ليل مصر

ويذكر د. عبد الرحمان بدوي أن العمود الذي يشير إليه ريلكه في مطلع القصيدة هو العمود الوحيد الباقي من سلسلتين من الأعمدة أمر الملك الحبشي(٦٩٠ -٦٦٤ ق.م)باقامتهما. وقد بقي هذا العمود الذي يبلغ طوله عشرين مترا، وعرضه خمسة أمتار، والذي يتفتح رأسه في مواجهة السماء كأنه يحملها، رمزا على العظمة المتوحدة التي تبقى رغم صروف الزمان،». ويضيف د. عبد الرحمان بدوي قائلا: «إن هذا العمود هو رمز ريلكه نفسه، هذا المتوحد الأكبر الذي يعيش منفصلا عن الدنيا المحيطة به، منطويا على نفسه في تأمل عميق يفكر في تقلبات العالم على مرّ الزمان».

وفي «سوناتات اورفيوس» يعود ريلكه مجددا إلى هذا العمود ويكتب:

آه! ناقوس البرونز الذي يطرق

كل يوم بلسانه رتابة الحياة اليومية

أو عمود الكرنك، العمود

العمود الذي بقي بعد زوال معابد شبه خالدة..

بعد أن زار المعبد القديم المكرس للاله الصقر «حوريس» في ادفو، ومعبد سيتي في ابيدوس ومعبد رمسيس الثاني ومقابر اسوان، عاد ريلكة إلى القاهرة وذلك في أوائل شهر فبراير/ شباط ١٩١١ ليقيم في فندق «شبرد». وعن القاهرة كتب يقول: «إنها - أي القاهرة - مدينة كبيرة لا تعبأ بشيء. هناك الحياة العربية الكثيفة المعتمة، وهناك بعيدا تقوم - محذرة منذرة كالضمير - تلك الأشياء العظمى التي لا ترحم، والتي يجب على المرء ألا يتصل بها أبدا، وحتى من اكتملت كل القوى فيه. فهذا أمر بالغ مفرط، وعلى كل حال أنا الآن قادر على كل شيء، وإن كنت أظن أن نوعا من الترويج والتجديد قد استقر في نفسي. ولقد رافقت رحلتي حتى الآن أنواع كثيرة من المتاعب، لكني لحسن الحظ كنت قد توقعت معظمها مقدما، ووطنت نفسي على قبولها بهدوء، والآن أتمنى أن أخرج منها خروجا هادئا حتى تصل التجربة المشتتة لدي منها إلى نوع من المجموعات الكوكبية الباطنة».

في القاهرة يعود ريلكه من جديد إلى الآثار الفرعونية ويزور في الأسبوع الأول من شهر فبراير الاهرامات و»أبو الهول»، وسوف يتذكر ريلكه فيما بعد هذه الزيارة، وذلك عام ١٩٢٥، أي قبل عام واحد من وفاته، فيكتب إلى صديق له واصفا إياها: «تركت ساعة العشاء تمر، وكان الأعراب يقبعون هناك بالقرب من نارهم والظلمة تحول بينهم وبين رؤيتي. لقد انتظرت حتى أسدل الليل ستائره، بعيدا في الصحراء، ثم مشيت من

خلف «أبي الهول»، وقدّرْتُ أن القمر لابد أن يكون على وشك الطلوع خلف الهرم القريب الذي أحرقته شمس المغيب، ذلك أن الليلة كانت ليلة مقمرة. وفي الواقع لم أكد أستدير حول «أبو الهول» حتى كان القمر قد صعد عاليا في السماء، وانتشر منه فيض من النور على الأفق اللامتناهي حتى أنني اضطررت إلى حجب ضوئه الساطع عني بكفي لأجد طريقي بين خنادق الحفائر وأحجارها. وأمام وجهه الضخم، تفقدت مكانا، ورقدت ملفوفا في معطفي ونفسي مرتاعة متأثرة على نحو لا يبلغه الوصف. لم تستطع آلاف السنين أن تحدث في «أبو الهول» أثرا غير هشيش ضئيل. وأعجب ما في الأمر أن هذا الشيء «أبو الهول» كانت له قسمات انسانية تتكافؤ مع مركزه السامي. ولقد اتخذ هذا الوجه عادات الفضاء الكوكبي، لقد تحطمت بعض مظاهر ابتسامته، لكن الشفاه ومغارب السماوات ألقت عليه انعكاسات عواطف تفوقه. وكان لابد من مرور فترة طويلة قبل أن تتعوّد عيناي على هذا الوجود وتدركه، وتحقق رؤية ذلك الثغر وتلك الوجنة وتلك الجبهة التي كان ضوء القمر وظل القمر عليها يُغيّران تعبيرها باستمرار . راقدا عند اقدام «أبو الهول» شعرت أنني منفي عن نفسي وعن حياتي».

وفي مراثيه الشهيرة وتحديدا في المرثية العاشرة، يهتم ريلكه بالخصوص بعبادة الموتى عند الفراعنة، وهذا ما تؤكده رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه بتاريخ ١٣-١١- ١٩٢٥ وفيها يقول: «إن المراثي تضع معيار الوجود، وتؤكد بل تمجد الضمير الانساني فتمدحه في تقاليده مستندة في ذلك إلى الروايات القديمة وذكرياتها، وترى في عبادة المصريين للموتى شعورا سابقا بهذه الروابط».

وفي «المراثي»، هناك أيضا صدى للإسلام الذي ازداد اهتمامه به خلال زيارته إلى تونس ومصر. وهذا ما يتجلى لنا في نفس الرسالة إذ هو يضيف قائلا: «إذا ما أخطأ المرء وقارن بين «المراثي» وبين النظريات الكاثوليكية بشأن الموت والعالم الآخر والخلود، فإنه سوف يبتعد ابتعادا كليا عن النتيجة التي تفضي إليها وساء فهمها. ف»الملك» في «المراثي» ليس بينه وبين «الملائكة» في المسيحية أدنى صلة أو إنما هو بالأحرى أقرب إلى الملائكة في الاسلام. إن «الملك» في «المراثي» هو هذا المخلوق الذي يبدو فيه تحول المرئي إلى لامرئي أمرا متحققا».

من القاهرة، توجه ريلكه إلى الاسكندرية، ومن هناك ركب سفينة حملته إلى البندقية التي وصلها في ٢٩ مارس/ آذار ١٩١١. وهكذا انتهت الرحلة التي تركت في نفسه عميق الأثر، وظلت حتى نهاية حياته مصدرا مُلهما لخياله الشعري العظيم.

رسائل الى صديقة من البندقية

كان الشـاعر الألمـاني الكبـير راينـار ماريـا ريلكـه في الثلاثـين مـن عمـره لمّـا عشـق فتـاة فائقـة الجـمال مـن مدينـة البندقيـة الإيطالية تدعـى ميمـي. وهـذه الرسـائل أرسـلت إليهـا بـين عـام ١٩٠٧ و١٩١٢ . وخـلال السـنوات الخمـس لم يتوقـف ريلكـه عـن الترحـال، متنقـلا بـين باريـس، وجزيـرة كابـري، ومدينـة بريمـن الألمانيـة، وقـصر «دوينـو» عـلى البحـر الأدرياتيـكي. وفي هـذه الرسـائل نعثـر عـلى مـا كان يشـغله مـن أفـكار حـول الحيـاة، والحـب، والشـعر، والشـعراء.

نقدم هنا ٣ رسائل :

فينيسيا٢٦ نوفمبر

حوالي منتصف الليل

صديقتي العزيزة الجميلة

لأول مـرة وحيـدا أمـام صورتـك، يتوجـب عـليّ في ليـل البندقيـة أن أكتـب لـك. وحتـى ولـو كانـت قصـيرة هـذه الرسـالة، فـإن ميزتهـا أنهـا الأولى. وسـتكون هنـاك رسـائل أخـرى تكـرر لـك مـا قلتـه لـك للتـو بـكل بسـاطة وبـراءة.

كـم أنـا سـعيد أن أكـون قـد التقيـت بـك أنـت الجميلـة والرائعـة. وأنـا أتعلـم جمالـك مثـل طفـل تُـرْوَى لـه قصـة بديعـة. وأنـا شـديد الاعجـاب بالصـورة التـي أنـت عليهـا وأنـت تتعذبـين بـكل صـدق

ونزاهـة. لقـد كـبر قلبـك حيـث تمـوت وتفنـى قلـوب أخـرى. لا تنـسي ذلـك أبـدا. ولا تنغلقـي في مصـيرك، بـل ظـلي كـما أنـت. احتفظـي بجناحـي الملاك اللتين ستسْـمَحان لـك بالدخـول في الحياة التـي تنتظـرك مـن دون أن تعلمـي بذلـك- إنهـا نفـس الأجنحـة التـي تحملـك إلى فنـك. تسـلحي بـكل انطلاقاتـك وتحفـزك وافـرضي عـلى الذيـن تلتقـين بهـم جمالـك وروحـك كـما لـو أنهـما قانـون. تحـلّي بالهـدوء يـا عزيـزتي، كل مـا سـيحدث لـك، لـن يـضرك، بـل سـيكون مُنقـذا لـك.

بعـد كل المسـائل التـي تحدثنهـا حولهـا، والتـي أحسسـنا بهـا معـا خـلال هـذه الأيـام، يكـون مـن الطبيعـي أن أحبـك. ولا بـد مـن إعـادة هـذه الكلمـة إلى عظمتهـا القديمـة: لهـذا السـبب أنـا أنطـق بهـا مـن بعيـد. مـن بعيـد لأنني مسـؤول عـن تحمـل وحـدتي. وأنطـق بهـا مـن قريـب لأن الذيـن أحبهـم يسـاعدونني عـلى تحملهـا بـلا حـدود.

في مـا بعـد، سـوف يبـدو لي دائمـا أني فكـرت في نفـس اللحظـة التـي رأيتـك فيهـا للمـرة الأولى أنـك «ميمـي» -لأني أحبـك منـذ أمـد بعيـد. لكنـي أحبـك أفضـل منـذ أن تعرفـت عليـك.

ليلـة سـعيدة، صديقتـي العزيـزة. والوقـت الآن متأخـر للكتابـة. وشـكرا جزيـلا لـك ولأختـك العزيـزة الطيبـة: أنـا أهنـأ مـن دون حـدود بكرمكـم وطيبتكـم.

الأحد صباحا

أنا أيضا : لا وداع لي أبدا.

سـأحمل روحـك وأوريهـا للـه وللملائكـة. سـتكون في الكـون. والأزهـار سـترى نفسـها فيهـا مفتونـة ومنبهـرة، والطيـور سـتحطّ عليهـا لـكي تـشرب. سـتكون سـعيدة.

قلبـي سـيواصل تأملـك سـاجدا خاشـعا. أحبـك. أسـمع رنـين النواقيـس.

في ضواحي كولونيا

الاثنين صباحا

مشـاهد تلـو الأخـرى. ونحـن نرمـي بهـا خلفنـا مـن دون أن نفتحهـا. لا أحـد يرغـب فيهـا. ليـل وأيـام ليسـت لأيّ أحـد. والمطر. المطـر اللامباليـة، المتعبـة، تسـقط مـن دون أسـف، وأخـيرا المطـر. ومـاذا بعـد؟ -يـا إلهـي، يكفـي.

لكننا نغمض أعيننا.

عزيـزتي : هنـاك في هـذا القطـار الشـنيع مـن يغمضهـما. وأنـت تعلمـين السـبب.

هـو يغمضهـما بقـوة إلى درجـة أنـه بشـعر أن عينيـه تذوبـان داخـل محجريهـما مثـل حبّـات عنـب ناعمـة في فمـيْن إذ أنهـما نضجتـا بمـا فيـه الكافيـة في بضعـة أيـام. كان الصيـف. ويـا لـه مـن صيـف طويـل-.

لـن تصلـك الرسـائل التـي كتبتهـا لـك بالأمـس. لقـد أعـدتّ قراءتهـا. وكان لي شـعور بالحـزن. ولم أكـن عـلى صـواب. أليـس كذلـك؟

كان هنـاك أنـاس مـن حـولي. لم أكـن وحيـدا. إلاّ أنتـي كنـت وحيـدا مـع ذلـك. وكـم كنـت وحيدا.

لأكـثر مـن مـرة تناولـت ال« Fioretti» *. مـن دون أن أفهـم. وفي النهايـة أخفيـت وجهـي في الكتـاب المفتـوح مثلـما أخفيـه في كفّـي يـدي. لقـد كانـت حركـة فرانسيسـكانية بسـيطة، فيهـا شيء مـن الطيبـة، وهـي تواسـيني.

سوف أقرأ هذا الكتاب الصغير المتواضع الذي يعرف عنك.

مررنـا ب «غودسـبارغ». وسـنكون في «بريمـن « ظهـر اليـوم. أفكـر في زوجتـي، وفي «روت» الصغـيرة التـي ينتظـرني قلبهـا مفتوحـا: هـذان الكائنـان اللـذان يوثّقـان منـذ سـنوات حبهـما الصـادق والفخـور بحيـاة التيـه التـي أنـا اعيشـها. لا بـدّ أن يكـون لي مـا يكفـي مـن الحـب لجميـع الذيـن أحـب، لأنـه لا بـد أن يكـون لي ذات يـوم كلّ حـب العـالم لعمـلي الشـعري.

مـع ذلـك ليـس لي اليوم سـوى رغبـة واحـدة: أن أكـون في البندقية، وحتـى وإن لا أكـون بجانبـك :(أنـا أشـعر بـك دائمـا بجانبـي في أيّ مـكان أحـلّ بـه وأحـس أن حياتنـا مديـدة بالسـعادة وبـالألم) ، لكـن لـكي أقرفـص في كنيسـة في سـاعة القـداس الإلهـي، وأن أظـل في «زاتـار»** لوقـت طويـل، وأن أمـر بالأزقـة الضيقـة حيـث يمكننـي أن ألتقـي بـك، وأن أرى مـن بعيـد المنزل ذا اللـون الـوردي الـذي يبـدو لي أنـه الوحيـد الـذي بُنـي في البحـيرات الشـاطئية، والبدايـة

وأمّ كل الساحات والكنائس التي لا تزال فيها الكنوز الرائعة. ثم لكي لا أتألم بكل هذا الحنين-

وفي الختام أنا أعرف (منذ وقت قصير) أنه لا بدّ أن يتوفر ما يكفي من الحب لكي نحب أكثر الألم، وخاصة الألم.

فكري بكل مودة وطيبة في زوجتي يا ميمي، وفي روت الصغيرة التي ستقودينها ذات يوم إلى ساحة القديس مرقص. فكري فينا، يا ميمي. سنعمل.

أغمض عينيّ يا عزيزتي.

ملاحظة: قولي كلمات جميلة وطيّبة لأختك العزيزة. تحدثي مع والدك عني، وبلغيه احترامي وتقديري له.

أكتبي لي في أقرب فرصة ممكنة. قولي لي كل شيء. أنت تعرفين العنوان : اوبرلاند قرب بريمن.

* كتاب يحتوي على كرامات ومعجزات القديسين

**من أشهر الأحياء القديمة في فينسيا

اوبرلاند قرب بريمن

(ألمانيا)

٧ديسمر ١٩٠٧

شيء مرعب أن نفكر في أن هناك أشياء كثيرة تُبْنَى وتهدم بالكلمات. والكلمات بعيدة عنا، ومنغلقة في ديمومة حياتها الثانوية، لامبالية بحاجاتنا القصوى. وهي تتراجع الى الوراء حالما نمسك بها. وهي لها حياتها الخاصة بها، ونحن لنا حياتنا الخاصة بنا. وأنا أشعر بكل هذا بأشد ألم من ذي قبل في هذه اللحظة التي أكتب لك فيها أنت العزيزة عليّ جدا، والتي أرغب في أن أقول لها كلّ شيء. كيف لي أن أعبر لك عن كل ما أحسّ به، وعن كلّ ما يؤلمني، وعن كل ما يواسيني منذ أن وطأت قدماي هذا البلد الثقيل، بمواجهة السّهل الأسود والأخضر الذي يمضي حزينا في الضباب. كيف أصف لك هذه كلّ الحياة الأخرى التي ليست لي، والتي أجد فيها نفسي بحياء، وبعسر وصعوبة، لأنه ليس عملي هو الذي يشدّني إلى هنا؟ والحقيقة أني لا أجد نفسي داخل قلبي إلاّ حين أكون بجانبك. أنه العمل الذي أريد، نفس العمل، العمل الطويل، من دون نهاية، من دون مصير. وفي الختام، العمل.

والحال أنه توجد هنا كائنات عزيزة استقبلتني بكل لطف ومودة، ولها من قبل حياة متوحدة ، تلاحقني من بعيد. لقد عملت زوجتي جيدا رغم كلّ المصاعب التي تحيط بها،

وروت الصغـيرة تمـدّ لي كلّ كيانهـا بحركـة حقيقيـة تـكاد تكـون كبـيرة تتجـاوز سـنّها، وأنـا أجهـد نفـسي لـكي أكـون جديـرا بـكل هـذا.

وأن أكـون جديـرا بـك أنـت أيضـا يـا ميمـي، أنـت يـا مـن فـرض عـليّ جمالـك نفسـه كـما لـو أنـه واجـب. وزوجتـي لا تـرى مانعـا في أن أحبـك، ومعـا نمـضي سـاعات ونحـن نتأمـل صورتـك الجميلـة ر غـم أنهـا لا تعكـس جلالـك وفتنتـك بمـا فيـه الكفايـة. والصغـيرة، كـم تحبـك. وهـي تقـول لي :»الآن عندمـا أدخـل إلى مكتبـك، لا بـدأن أنظـر إلى هنـاك«، أي إلى صورتـك.. وهـي تسـميك عرّابَتَهـا العزيـزة. وهـي تعلـم كـم أنـت جميلـة مـن دون ان أقـول لهـا ذلـك. وهـذا مـا أقولـه لنفـسي(...)

سـأحدثك مسـتقبلا عـن أشـياء تخـصّ عمـلي. عـليّ أن أكتـب رسـائل كثـيرة. واليـوم تمـت دعـوتي لإلقـاء محـاضرة في هانوفـر قريبـا. وقـد لبيـت الدعـوة لأنهـا توثّـق صلتـي قليـلا بعمـلي. وداعـا عزيزتي.

ملحـق: تحيـاتي الوديـة إلى أختـك العزيـزة. ذكريـات إلى المنـزل الـوردي. و تحيـاتي إلى ماريـا...

أوبارلالند قرب بريمن

(ألمانيا)

الموت في الحياة، وهذا أمر يُحيّرني عندما يزعم الناس أنهم يجهلونه : الموت الذي نشعر بحضوره المرعب بعد كلّ تحوّل نظلّ بعده على قيد الحياة لأنه يتوجب علينا أن نتعلم كيف نموت ببطء. علينا أن نتعلم كيف نموت : تلك هي الحياة. وعلينا أن نعدّ مبكرا العمل المجيد لموت فخور وسام، لموت ليس فيه للصدفة مكان، لموت بديع، وسعيد جدا، ومفعم بالحماسة مثلما يفعل ذلك القديسون، لموت ينضج على المدى الطويل، يمحو هو نفسه اسمه المشؤوم والشنيع، بحركة تعيد للكون المجهول القوانين المعترف بها، والتي تمّ انقاذها من حياة أُكْتملت بشكل باهر. فكرة الموت هذه تطورت عندي بطريقة مؤلمة من تجربة إلى أخرى منذ الطفولة، وهي التي تأمرني بأن أتحمل موتي الصغير بتواضع لكي أكون جديرا بذلك الموت الذي يريد منا أن نكون كبارا.

لا أشعر بالحياء يا عزيزتي لأنني بكيت ذاك الأحد في الزورق البارد الذي أبحر مبكرا، والذي كان يدور ويدور دائما، مارّا بالأحياء الغامضة التي بدت لي وكأنها تنتمي إلى بندقية أخرى تقع في الضفاف. وصوت «الباراكايلو» (صاحب الزورق-المترجم) الذي كان يطلب المرور في زاوية كل قناة يظل من دون جواب كما لو أنه بمواجهة الموت.

والنواقيس التي سمعتها قبل ذلك من غرفتي (غرفتي التي عشت فيها طوال حياتي، وفيها ولدت، وفيها أستعد للموت) بدت لي صافية. تلك النواقيس نفسها تجذب خلفها أصواتا مُتشظية تائهة فوق المياه، وتتلاقى من دون أن تتعارف.

ودائما ذلك الموت الذي يتواصل فيّ، الذي يعمل في داخلي، الذي يُحوّل قلبي، الذي يرفع من كمية الأحمر في دمي، الذي يضغط على الحياة التي هي حياتنا لكي تكون قطرة حلوة-مرة تسيل في عروقنا وتلج إلى أيّ مكان، وتكون حياتي من دون حدود.

وحتى وأنا حزين، أشعر بالسعادة أنك جميلة. وأنا سعيد أن أكون قد استسلمت لجمالك مثل العصفور الذي يهب نفسه للفضاء. وأنا سعيد يا عزيزتي أن أكون قد مشيت كتقيّ ورع على مياه الريبة والشك إلى أن بلغت تلك الجزيرة التي هي قلبك الذي فيه تزهر الآلام. في الختام :أنا سعيد...

أوبرلاند قرب بريمن

(ألمانيا)

الاثنين

رسالتك ، عزيزتي، أثارت فيّ الكثير من المشاعر. لذا ها أنا أشرعُ على الفور في كتابة هذه الكلمات إليك فلعلها تمنحك المواساة لمواجهة التقلبات النفسية، والمعارك التي تخوضينها. مواساة الايمان بك، والتي أنا ممتلئ جدا بها. سوف تتجاوزين ذلك لأن قلبك المجنح يحملك بإلحاح. ثقي في الانطلاقة التي يتوق إليها: إنه ملاك وهو لا يريد سوى الله. تلك هي عقيدتي في روحك.

أما بالنسبة للقوة، فيا للأسف. ليس بإمكاني أن أمنحك إيّاها. وأنا لا أملك منها إلاّ القليل، ومن حولي مصاعب كثيرة بحيث ليس باستطاعتي أن أتغلب عليها ،أو أن أجد حلاً لواحدة منها. لست قويا يا عزيزتي، وإن كنت كذلك ففي عملي فقط. (لكن يتوجب عليّ أن أكونه). وأنا أرى أنه يتوجب عليّ فقط في عملي أن أكون على تواصل مع من أرغب في مساعدتهم.

لم أكتب لأنه ليس لي سوى حنين، حنين إلى عملي، وإلى الوحدة. وقد شعرت أنك مُنشغلة بنفسك. ثم إنني سقطتّ مريضا، ليس بشكل خطير، لكن مرضي كان كافيا لكي أتألم. وقد مررت بليال لم أعرف فيها للنوم طعما. ولم تكن صالحة إلاّ للتفكير الطويل. وأنا لم أشفى بعد من مرضي. وهذا ما يجبرني

على البقاء هنا. ثم أني لم أقرر بعد الذهاب إلى كابري. أفضل أن أكون وحيدا في أيّ مكان. أنا هنا أعالج بطريقة جيدة. ويمكن أن أقول بإنني أشعر بالسعادة حين أكون مريضا وتتم العناية بي بشكل جيد. وقد قرأت كثيرا دستويفسكي. وأحيانا فكرت فيك. وعن البندقية تحدثت مع زوجتي. وهذا ضاعف من رغبتي في العمل (متى أعود لأنشغل به بكامل حيويتي وقواي؟). الصغيرة روت كانت سعيدة للغاية بالتوشية وبالمروحة. أزهارك لا تزال دائما بجانبي. تسلحي بالشجاعة في كل ما تقومين به...

Rue Varenne 77

الثلاثاء صباحا

إذا ما أنا فهمت جيدا، فإنكم ستتناولون طعام الغداء اليوم في المدينة. لا أريد أن أترجّاك إلاّ أنني أعترف أنك سوف ستكونين لطيفة معي لطفا جديرا بملاك لو أنك جئت إليّ بعد ذلك ولو لبضع دقائق.

سوف أقضي بعض الشؤون ولن تتيسر لي العودة إلاّ حوالي الثالثة والنصف. لكن إذا ما أنت مررت قبل ذلك ، فإن الحارس سوف يكون على علم بقدومك. سوف يفتح لك بابي، ويمكك أن تجلسي على راحتك ومعك كتاب يعجبك أو من دون ذلك. ويمكنك إن رغبت، أن تشعري أنك لامرئيّة في الفوتاي الكبير لمكتبي وكما لو أنك ذلك المخلوق الأليف الذي يزور بهدوء المكان الذي يُقَدّسُ فيه.

ولن أتأخّرَ في الرجوع حادسا أنك هناك.

في هذه الليلة، تمّ ايقاظي ببرقيّة تُقَرّبُ مرة أخرى تاريخ القاء محاضرتي بحيث لن يكون لي الوقت لا غدا ولا في الأيام القادمة لكي أتمتع بالهدوء أو أفكر في ما يشغلني كثيرا. وأنا أنفر من القيام بأعمال يقوم بها الآخرون، والتي تفرض نفسها على عجل ومن دون انتباه لأن هذه الأعمال هي من الحياة أيضا. ولو أننا سمحنا لأنفسنا بالقيام بأي شيء يتصل بها من دون عناية ومن دون اهتمام، فإننا قد نرتكب نفس الخطأ

ونحـن ننجـز عمـلا أساسـيا ودقيقـا. واللـه وحـده يعلـم مـا يمكـن أن يترتَّـبَ عـن ذلـك.

أنـا في انتظـارك دائمـا وسـوف أ كـون حزينـا إن أنـا أنهيـت اليـوم مـن دون أن أراك. وفي كل مـرة أنـا أنـسى شـيئا أرغـب في أن أقولـه لـك.

أقبل يديك

ملحق :تحياتي إلى أخيك العزيز

أوبارلاند قرب بريمن

(ألمانيا)

شكرا جزيلا على عناياتك التي أتت إليّ مثلما تأتي إليّ العصافير خَلَلَ السماء والتي أعرف أجنحتها. لكن ليس هناك ما يمكن أن يزعجك : صحتي الآن أفضل، وأنا أخرج إلى الحديقة حيث هناك شمس خجولة لكنها دافئة تتحدث إلي رغم ذلك عن ربيع مُحتمل يتهيّأُ هناك بعيدا. والحقيقة أن الأمر لم يكون سوى زكام عاديّ تضاعف مع يعض الأوجاع المتعبة والمزعجة لكن من دون أهمية. ليست سوى أعصاب متمردة تضاعف أحيانا من آلامي وخارج العمل أنا مُعرّض لجميع الأمراض إذ أنه في العمل وحده أجترح كل القوى، الصمود والشجاعة. لا تقلقي إذن بشأني فأنا محاط بالعناية من قبل زوجتي ومن قبل الصغيرة ابنتي. وليس عليّ أن أشتكي. ولا شيء ينقصني سوى الوحدة والعمل. بهاذين الكنزين سأحصل على ما أبتغي وصحتي لن تخونني.

أشكرك لأنك تحدثت إليّ بسخاء وكرم عن الاستضافة الثمينة في البيت الوردي. أعرف أنه لا يزال هناك، وسوف أجد فيه الرفاهيّة مفكرا في أنه بإمكاني أن أعود إليه. وكم من مرة أغمض عينيّ لكي أرى يشكل أفضل الغرفة التي كانت غرفتي.

سوف أكتب اليك قريبا جدا عندما تكون مشاريعي قد توضّحت. هناك أشياء كثيرة ليس باستطاعتي أن أتحكم فيها

والتـي سـيكون لهـا بدورهـا تأثـير عـلى مـا يتوجـب اتخـاذه.

لا، لسـت قلقـا عليـك. نحـن جميعـا في خطـر ونحـن نعيـش، لكـن هـذا الخطـر هـو الـذي نحبـه لأنـه يجعـل قلوبنـا أكـثر رحابـة بإدخـال اللامتناهـي فيهـا.

إقـرأي فارهـاران* ، إقـرأي الانجيـل ، هـذه الجوهـرة، حيـث يختلط عـلى كل صفحـة ظـلّ الـذي يقـرأ بظـل اللـه، واعشـقي البندقيـة والحيـاة والمـوت وقلبـك المفعـم بالقـوة والحـب.

أنا لك دائما

ر.م. ريلكه

* هـو اميـل فارهـاران (١٨٥٥-١٩١٦) شـاعر بلجيـكي مـن أهـم شـعراء الرمزيـة

كابري

فيلا ديسكوبولي

١٣مارس١٩٠٨

أنت تعيين عليّ يا عزيزتي، مثل هذا الصمت. عليّ أن أتحمل عتابك. ولي الشرف في ذلك مثلما لا يكون لي الشرف بالنسبة لأشياء أخرى.

منذ خمسة عشر يوما فقط دخلت في هذه الاستضافة (قمت برحلة على عجل، ولم أكن قادرا على أن أرى أحدا لأنني كنت أشعر أنني مريض ومتعب) التي كنت قد حدثتك عنها، والتي استقبلتني بشيء بما يكفي من الود ، ضامنة لي شيئا من الراحة والكثير من نور الشمس .وبعد، يا إلهي، كم من الوقت الضائع والموجع. كنت مريضا، ويبدو لي أنني كنت مريضا جدا جسديّا وروحيّا. فلقد استبدت بي أنفلوّنزا أسبوعا بعد أسبوع، وتمكنت من أن تحدّ من قواي، ومن شجاعتي، مُلقية بي إلى كل مخاوف الدم والرأس. وفي النهاية كانت أعصابي جدّ متعبة إلى درجة أنني كنت عاجزا عن القراءة وعن الكتابة. باختصار كنت مريضا. وأنا أتذكر الآن كم كان قلبي متعبا أكثر من اللزوم. ومرة أخرى قلت لنفسي بأنني لا يمكن أن أحب سوى عملي. ففي العمل وحده يصبح شعوري منتصرا ويحقق انطلاقته رغم كل ما يتضاعف ويتعدد، مثل غابة تولد من حبّة قلبي والتي تحملها ريح الله بعيدا عن كل الناس وعن

حدائقهـم التـي رتبـت بشـكل بديـع.

أنـا أسـبب لـك الضجـر يـا صديقتـي، و لكـن هـا دائمـا أفـكاري ورغبـاتي: أن أسـتعيد صحتـي لـكي أبيـد أكـثر مـن أيّ وقـت مـضى في عمـلي. يمكـن أن يكـون شـبيها بالمـوت، عمـل الفنـان. وعـلى الفنـان أن يدخـل في العمـل مـن دون أيّ تحفـظ، بكاملـه، ووحيـدا، مـن دون أن يمتلـك أيّ شيء سـوى تلـك العاقبـة التـي كانـت توضـع في أفـواه الأمـوات لـكي تضمـن لهـم قطـع مسـافة النهـر التراجيـدي الـذي يفصلهـم عـن أصدقائهـم- هـل ستحسـين على الأقـل بروحي التـي تحـوم أحينـا حولـك وحـول ذكرياتنـا الثمينـة؟

هل تمدينني بأخبار عنك قبل أن أمدك بأخباري؟

أتمنـى دائمـا أن يكـون باسـتطاعتي أن آتي إليـك بزوجتـي وبابنتـي التـي كانـت تتحـرق شـوقا لمرافقتـي لـكي تحصـل عـلى تعميـد مـن ذهـب تحـت مراقبـة عرّابتهـا. لكـن لا بـد مـن ابقائهـا في ألمانيـا. فقـد كانـت هنـاك مصاعـب تافهـة في كل مـكان، ومشـاغل مزعجة. ولا تـزال هنـاك مصاعـب مثلهـا، ولسـت أدري كيـف أتخلـص منهـا.

ال» Fioretti» لا يـزال قريبـا منـي. وأنـا أقـرأه كل يـوم ودائمـا أحبـه أكـثر مفكـرا فيـك وفي أختـك التـي يفضلهـا توفـرت لي فرصـة فهـم معـاني هـذا الكتـاب .

أنا لك، صديقتي العزيزة

ر. م

ملاحظة: واحدة من صديقاتي أهدتني مُشَبّكا قديما. وقد خصّصته لإنجيلي أو للمحاكاة، عالمة بتعلقي بهذا الكتاب المقدس والبديع. وأنا أرى أنه صالح لتزيينه. وبما أنك تمتلكينه، فهل تسعدينني بقبول هذا المشبك أيضا لتثبيته على تجليد الكتاب إذا ما كان ذلك ممكنا؟

باريس،١٧ شارع Campagne Première

١٨ماي ١٩٠٨

رسـالتك الأخـيرة طمأنتنـي كثـيرا لأنهـا أظهرتـك قويـة وفي صحـة جيـدة في ذلـك الديكـور الرائـع الـذي هـو البندقيـة في فصـل الربيع، محاطـة بأولئـك الذيـن يكونـون سـعداء بحبـك، وأنـت تجعلـين حبّهـم لـك أكـثر جـمالا ، بـل يـكاد يكـون مبهـرا بتقبلـه بحـذق وبالعطـش الجميـل لطفـل سَرَحَ كامـل النهـار في الحقـل الأخضر عاثـرا فيـه عـلى كل الزهـور.

وأنـا خجـل لأننـي لم أقـل بعـد شـكرا لرسـالتك الثمينـة. إلاّ أننـي كنـت قـد حذّرتـك وقلـت لـك أننـي سـأكون نـادرا أكـثر فأكـثر بسـبب الرغبـة التـي أصبحـت مُلحـة في العـودة إلى عمـلي. وهـذه الرغبـة هـي التـي دفعتنـي لمغـادرة كابـري فجـأة إذ أننـي لم أجـد لا الهـدوء ولا الراحـة اللذيـن كان بالإمـكان أن يجذبـاني ببـطء إلى العمـل. لم أكـن قـادرا عـلى أن أرى أي شـخص، ولأننـي أرى ألـف فكـرة في تلـك البندقيـة العزيـزة عـلى القلـب فإننـي تعجّلـت القـدوم إلى هنـا آمـلا أن تلـك الوحـدة القديمـة ، حاميتـي الكبـيرة، سـوف تكـون في انتظـاري في هـذه المدينـة الهائلـة الاتسـاع. وهـذه الوحـدة كانـت قـد سـاندتني مـن قبـل بكثـير مـن السـخاء.

لكـن كان عـليّ قبـل كل شيء أن أسـاعد زوجتـي التـي لجـأت إلى باريـس هـذه المـرة لـكي تواصـل فيهـا عملهـا بأكـثر تركيـز ونشـاط . وأنـا سـعيد لأنهـا اتخـذت مثـل هـذا القـرار الـذي سـيوفر لهـا

فرصــة التقــدم في نحتهــا مثلــما كان حــالي أنــا في أزمنــة بدايــة كل تقــدّم.

زوجتــي تُبلّغــك تحياتهــا. (روت بقيــت في اوبارلانــد مــع شــخص جديــر بالثقــة). قدمــي يــا عزيــزتي ، عربــون صداقتــي للمحــترم والــدك، وبلغــي مــن جانبــي أختــك العزيــزة ألــف كلمــة جميلــة . أنــا أفكــر فيــك، وأحــسّ بأفــكارك التــي تســاعدني.

ر.م

رودان* في صحة جيدة ويعمل ببطولة كما هي عادته دائما

* هــو اوغســت رودان(١٨٤٠-١٩١٧) النحــات الفرنــسي الشــهير الــذي كان ريلكــه يعمــل ســكرتيرا لــه في تلــك الفــترة.

باريس، 17 Rue Campagne Première

٢٥ أغسطس-آب ١٩٠٨

ها أنا بصدد تغيير البيت المؤقت لكي أكون في بيت مؤقت هو أيضا إذ بسبب انشغالي الدائم بالعمل، لم أجد الوقت للبحث عن بيت قار، ولم أتمكن من أن أوقف مشاريعي على مدى الشتاء الذي سيحل قريبا. وفي قلب هذا الانشغال بمثل هذه التفاهات بين اعداد صناديق وتهيئة الحقائب، تأتيني الرغبة في الكتابة إليك، فأقلعُ عن كل شيء لكي أرسم لك هذه الكلمات بيد أتعبتها الكتابة اليومية. وهناك أكثر من عتاب مختلط بهذه الرغبة إذ أن رسالتك العزيزة مؤرخة ب٣٠ حزيران-يونيو. ولا عذر لي، وعليّ ألاّ أبحث عن ذلك. لكن باستثناء بعض المراسلات الخاصة بالعمل، لم أكتب أبدا رسائل طوال هذه الأشهر. وكان ذلك ضروريا للتركيز على عملي. لقد كان لي طريق في هذه المرة لكي أنفذ إلى قلب عملي. ويتوجب عليّ أن أبقى هناك، وأن أتشبّث بمركز العالم الداخلي إذ أنني إذا ما أنا خرجت منه، وإذا ما أنا تحدثت عنه، فإنني أكون قد ابتعدتّ عنه في كل خطوة أخطوها خارجه، ولن أكون مُتيقنا من العودة إليه. لذلك قررت أن أعمل من دون توقف. من هنا يمكنك أن تدركي سبب صمتي الذي لا يعني مطلقا أنني نسيتك. ثقي في ما أقول. هناك البندقية، هذا صحيح-وكنائسها وقصورها البديعة. وهنا الكاتدرائيات (رغبة ملحة في التركيز وفي العمل)، وهناك أيضا كل الماضي المجيد والمرعب والموحي والمثير للمشاعر. مع

ذلك ماذا تبقى لنا أن ننجز بعد القدماء، وبعد دانتي، وبعد القديس فرانسوا. وبعد كل سعادة الحيوانات والنباتات. وبعد كل قصص الحب وكل الفواجع وكل المآتم التي تمّ تحمّلها، أو الشكاوي التي تمّ نسيانها «من بدء وإلى الأبد»: نحن نرسم، وننحت، ونكتب، وأكثر فأكثر نحن نشعر مثل الإنسان الأول أمام واجب خارق، ومثل المعلم الخجول والمُجَازف الذي يتقدم من أن يعرف وجهته. لا شيء يبدو أنه في طور الإنجاز : الأشياء العذراء لا تزال تنتظر الأمراء الذين سيأتون لكي يحوّلوها إلى نجوم. وأنا أشعر أحيانا بالخوف إزاء هذا العمل الأساسي الذي لا يتلاءم إلاّ قليلا مع حياتنا المحدودة. وحتى وإن تذكرنا ما يمكن أن تتضمّنه اللحظة من غبطة، ومن ثقة بالنفس، ومن أمل، فإننا نغري أنفسنا بالاعتقاد أنه باستطاعتنا بهذا الكأس أن نَغْرُفَ من العالم لو أننا نمتلك اليقين والقوة غير المشطة، القوة الكاملة والسليمة من أيّ عطب. ليس هناك الآن أيّ شيء يدهشني أكثر ويثبط عزيمتي مثل الشعور بقدوم التعب. لماذا؟ لماذا وأنا لم أنجز أيّ شيء بعد، لأنني لازلت شابا، -لماذا لا تكون لي قوة خارقة لوحش او لملاك، أو بكل بساطة قوة زهرة صغيرة تُنْجز، مُطيعة ، كلّ المعجزات التي أراد الله ان يفرضها على وجودي العابر والناعم؟ -

أنا لم أتكلم فقط عن نفسي يا عزيزتي، ولكني فكرت فيك وأنا اكتب إليك. أخوك يكون قد حدّثك عني، وعن ذلك الوقت القصير الذي استغرقه حديثنا قبل أن يغادر. لقد ثَمّنْتُ صداقته، وكنت سعيدا بلقائه. وأنك على يقين أنك ستقضين أوقاتا رائعة برفقته. أذكريني دائما بحضور أختك ولا تنسي أبدا صديقك المخلص لك...

ر. م. ريلكه

باريس 17 Rue Campagne Première

٢٩أغسطس-آب١٩٠٨

كم أنت رائعة يا عزيزتي أن تردي على رسالتي على الفور. لقد اغْترفت من كلماتك الكثير من القوة، كلمات صديقة لن أفقدها أبدا. شكرا على أنك تحدثت إليّ بحميمية، إلاّ أنني لم أشأ أن أضايقك بمتاعبي. وعزيمتي لم تثبط أيضا، لكن يتوجّب علينا فقط ألاّ نحسّ بالتعب أبدا إذا ما نحن مارسنا هذه المهنة التي تتطلّب المُثابَرة والجَلَد كما في يوم نخوض فيه معركة. وأنا لا أشتكي إلاّ من أنني أشتهي أحيانا الحصول على استراحة عوض أن أخرج وقد حصلت في كلّ مرة على المزيد من الشجاعة من كل جهد أقوم به. تلك هي النتيجة التي يتوجب أن يفضي إليها كلّ هذا لكي لا نخسر الوقت الثمين الذي كل لحظة فيه هي بَذْرَةُ الأبدية. وريناك(١)عبّر عن ذلك(أن نعمل يعني أن نحصل على الراحة)، ورودان أكمله مع قليل من أمثاله. وأنا أعلم أنه لن نكون سوى تلاميذ سيئين إذا ما نحن لم نتمكن من أن نصل إلى عتبة هذا العمل الشاق المتواصل الذي يتضمن كل شيء، الجهد والاستراحة، النوم المركز واليقظة المتعددة، الحب والموت. وما يُحْزنني أحيانا، ويثقل عليّ ويهددني هو ألاّ أتمكن من أن أتقدم إلاّ ببطء باتجاه الارتقاء بعملي ، لأكون مثل كل الناس العاديين، ضعيفا، وغير مثابر، ومُتقلب، ولأكون أيّ أحد والأخير الذي يمضي من دون

أن ينهـي عملـه الروحـي-.

نعـم سـوف أجـيء ذات يـوم إلى البندقيـة لـكي أعمـل هناك. سـوف تهبيننـي غرفـة، وتحمـين سـكينتي، وترعـيْن أعـمالي الشـاقة. سـوف تكونـين مـلاك البـاب والصمـت حـول قلبـي. لكـن عـليّ قبـل كلّ شيء، أن أنهـي هنـا كتـابي المقبـل-.

وقـد فكـرت أنـه سـيكون باسـتطاعتنا أن نَـدْرُسَ معـا ذات يـوم أعـمال غاسـبارا سـتامبا Gaspara Stampa(٢). هـل ترغبـين في ذلـك؟ مصيرهـا يبـدو لي شـبيها إلى حـد ما بمصـير الراهبـة البرتغالية رغـم أن الكونـت Collato(٣) كان أكـثر مـن مارشـال Chamilly

أنـت تعلمـين أننـي مُنهمـك منـذ زمـن بعيـد في اعـداد كتـاب يتضمـن بورتريهاتـات لنسـاء (كـن تعسـات في حبهـن) كان عليهـن أن يهـبن قلوبهـن التـي كانـت كبـيرة أكـثر مـن اللـزوم عـن الحـب إلى اللـه لأنـه ليـس باسـتطاعة العاشـق أن يتحمـل تأججهـا. ألا يمكـن أن تكـون تلـك العاشـقة الكبـيرة لـStampa مـن ضمـن مـن سـأهتم بهـن في كتـابي هـذا؟ وهـل يمكـن أن يكـون فيـه مـكان إلى جانبهـا للراهبـة ماريانـا دالكوفـورادو(٤) ، وسـافو(٥) واليونـورا دوز(٦)ومـدام دو نـواي(٧). هـذا عمـل يمكـن أ ن يجمـع بيننـا مسـتقبلا.

قـولي كلـمات جميلـة لأفـراد عائلتـك، أيتهـا العزيـزة، عنـد عودتهـم، وليبـارك اللـه روحـك الحنونـة التـي أحبهـا.

هوامش

-١: هـو ارنسـت رينـان (١٨٢٣-١٨٩٢) مـؤرخ وكاتـب فرنـسي كبـير كتـب سـيرة المسـيح وسـيرة النبـي محمـد سـيرة الفيلسـوف الأندلـسي ابـن رشـد

-٢: غاسـبارا لاسـتامبا (١٥٢٣-١٥٥٤) أشـهر شـاعرة إيطاليـة في عـصر النهضـة. ولـدت في مدينـة بـادو. وبعـد وفـاة والدهـا وهـي لا تـزال طفلـة انتقلـت مـع والداتهـا لتمـضي بقيـة حياتهـا في البندقيـة.

-٣: أشهر عشاق الشاعرة غاسبارا لاستامبا ... وكان جنرالا وشاعرا ومحبا للموسيقى ...

٤ :راهبة برتغالية (١٦٤٠-١٧٢٣)

-٥: سـافو: أشـهر شـاعرة في عهـد الاغريـق عاشـت بـين القـرن السـادس والقـرن السـابع قبـل الميـلاد.

-٦: ممثلة إيطالية (١٨٥٨-١٩٢٤) زاحمت في الشهرة الممثلة الفرنسية سارا بارنار

-٧: كاتبة وشاعرة فرنسية(١٨٧٦-١٩٢٣)

Rue Varenne 77

٣٠اكتوبر٠٨

هـل يمكنني يـا صديقتي العزيـزة أن أعـوّلَ عليـك في أن تكـون لي السـعادة والفـرح برؤيتـك في بيتـي، يـوم السـبت؟

إذا لم يكـن لي جـواب مـن عنـدك ، فإننـي سـوف أنتظـرك في نفـس السـاعة مثلـما كان الحـال في ذلـك اليـوم، (أي حـوالي السـاعة الثالثـة) وبنفـس الشـعور بـين الدهشـة والتنبّـؤ.

ألـف هديـة جميلـة لأخيـك الـذي أرجـو أن يكـون قـد تعـافى مـن مرضـه، وإليـك أنـت أيضـا ألـف هديـة جميلـة ،أنـت يـا انتظـاري ويـا مانحتـي الحـب والتقديـر ...

Rue de Varenne 77

٧نوفمبر ١٩٠٨

صديقتي العزيزة،

ظهـر هـذا اليـوم، لـديّ سـاحة مـن الوقـت أكون فيهـا غير مُنْشَـغل بـأيّ شيء. هـل لديـك متسـع مـن الوقـت لتمضيتـه معـي؟ ثمـة قضايـا كثـيرة يمكـن مناقشـتها. سـوف أنمتظـرك في نفـس السـشـاعة كـما هـو تالحـال في المـرات السـابقة.

صديقك :

ر.م.ريلكه.

Rue de Varenne 77

الثلاثاء صباحا

عزيزتي،

زوجتي التي علمت أنك هنا في باريس، لامتني كثيرا لأنني لم أعرّفك عليها. وقد عبرت عن رغبتها الشديدة في لقائك، لكن بما أنه ليست متعودة على القيام بزيارات، وأنها منشغلة هي نفسها بأعمالها، فإنني وعدتها بأن أطلب منك إذا ما سمح لك الوقت القليل الذي تبقى لك، أن تؤدي لها زيارة ولو بنصف ساعة. سوف تكون سعيدة بذلك.

يمكننا أن نفعل ذلك يوم الأحد عندما يكون لي فرح أن أراك هنا. لكني أتصور أنه بإمكانك أن تمري ربما قبل ذلك بحيّنا، فأنا لا أريد أن أفْقَدَ أيّة لحظة من اللحظات المخصصة لي. قولي رجاء، كلمة جميلة، إذا ما كان بإمكان زوجتي أن تنتظرك أم لا.

شكرا جزيلا على ساعات الأمس التي ستظل مغروسة في ذاكرتي لكي تزهر في ما بعد.

لك دائما

ر.م.ريلكه

Rue Varenne 77

الأحد ٢٩ نوفمبر

حملوا إليّ قبل قليل رسالتك الجميلة. وأن أشكرك جزيل الشكر على ذلك.

عناك أ عياد ميلاد كثيرة بالنسبة لك في هذه الأيام، ولن أكون أنا إذا لم أحتفي بها. وعيد م اليلاد هذا فجّرَ في نفسي ذكريات كثيرة فوق كل إحساس بالحزن.

كنت أرغب في أن أرسل إليك زهورا هذا الصباح في ذكرى والدتك العزيزة التي أحببتها لفترة طويلة-كما يبدو لي. لكن بعدئذ فكرت في أنه الأفضل بالنسبة لك أن لا تكون هناك مبالغة في استحضار الذكريات إلاّ إذا ما أنت رغبت في ذلك.

وقد فعلت ذلك بطريقة ناعمة إلى درجة أنني أحسست أني سعيد بأن أعلم بأنك شجاعة وعازمة على أن لا تفقدي عظمة أحزانك الكبيرة. وليكن قلبك في عونك.

أما بالنسبة لي فقد تقدمت شوطا هائلا في عملي. لذا بإمكانك أن تتفهّمي صمتي. وأنا الآن كما لو انني في عمق البحر وضغط كل المياه وكل السماوات عليّ. مع ذلك أشعر أن في الظلمات من حولي كنوزا متعددة وكائنات لم يتمّ العثور عليها بعد.

أنا أواصل عملي بكل عزم وقوة.

تسلحي بالشجاعة والعزم. هذا ما يتوجب على كل واحد منا أن يقوله للآخر.

ر.م. ريلكه

رجاء قولي كلمات جميلة إلى اخيك.

السبت صباحا.

٢٦ديسمبر ٠٨

شكرا على هذه الذكرى اللطيفة والجميلة. أنا أيضا فكرت فيك بكل الأماني الممكنة، إلا» أنني لم أرغب في أن ألحّ على الإحتفال الذي لو فتحت له الباب، فإنه سيدخل بحشد من الذكريات: لقد خشيت أن تجرني هذه الذكريات إلى الكسل والخمول والتسلية الذاتية.

عملي يتقدم ببطء شديد. هو بحاجة إلى كل عنايتي وإلى جهودي الفائقة. وإلى يوم ٢٤، أنا لم ألتق بأيّ أحد بمن في ذلك رودان الذي مَرّ في اليوم المذكور لأنه كان يعدّ نفسه لسفرة تدوم أسبوعا أو أسبوعين.

لكن ليس عليّ أن أخلّ بوعدي، وسوف أستثني هذا الشتاء لكي أقوم بزيارتك التي أجلتها دائما.

قولي لي، رجاء، إن كان هذا لا يزعجك، ولا بزعج أخاك لكي آتي إليكم يوم الإثنين القادم الموافق للثامن والعشرين من هذا الشهر، حوالي الساعة الرابعة ظهرا؟ سيكون ذلك احتفالا صغيرا بالنسبة لي، به وعدتّ نفسي أكثر من كل الاحتفالات الأخرى. وهو احتفال سوف يُرَسّخُني في وحدتي.

تحياتي الطيبة إلى أخيك وكوني واثقة من تقديري ومن احترامي لك .

ر. م. ريلكه

ملحق: إذا ما لم يكن يوم الاثنين ممكنا، فأنا أرجوك أن تقترحي عليّ ظهيرة يوم آخر من الأسبوع المقبل كما يحلو لك. سوف أعمل على أن أكون في الموعد.

الخميس صباحا

لا لن أكتب لك هذا الصّباح : الحقائب والصناديق والأمتعة الخاصة بالسفر التي وضعت في غرفة نومي تزعجني. وثمة أفكار وهواجس طاردتها طوال ليلة بيضاء لا تزال تشغلني أكثر فأكثر. لذا فإن الأوقات التي يمكن أن أخصصها لك الآن، سوف أسحبها منك في ظهيرة هذا اليوم عندما تأتين. وأنا أرغب في أن أتحدث إليك طويلا وبهدوء وأن أراك من دون ان أفكر في ايّ شيء آخر. ستكونين هنا، وسأقول ذلك لغرفتي، وللكرسي الفخم الذي يرغب في أن يكون أكثر اتساعا من حولك، والذي يشعر بالفخر لأن روحك لمسته. وهو يعلم أنه لا يفصله عن روحك سوى القليل من جسدك الناعم.

إلى اللقاء أيتها العزيزة.

ر. م. ريلكه

Rue Varenne ٧٧ باريس

٢١فبراير-١٩٠٩

سـأقول لـك أيتهـا العزيـزة، كـم واسـتني وأسـعدتني زهور البنفسـج التـي أرسـلتها بحضورهـا المبهـج والناعـم. و وأنـا أكاد أكـون كل الوقـت الـذي فيـه أسـعد برؤيتـك مريضـا ومتوجعـا أو أنـا أقـاوم ضيقـا مرهقـا وحزينـا يجعلنـي معلقـا خـارج عمـلي الثمـين.

الأيـام الأخـيرة كانـت جميلـة للغايـة حـدّ أن شـجاعة متواضعـة تنبـت في زاويـة مـن قلبـي تسـللت إليهـا الشـمس. هـل تريديـن أن تواصـلي عملهـا النافـع والناجـع وتأتـين غـدا الاثنـين في الظهـيرة حـوالي السـاعة الرابعـة أن كان ذلـك يناسـبك لـكي نتحـدث.

إذا لم احصـل منـك عـلى جـواب، فإننـي أعـوّل آمـل أن يتـم ذلـك غـدا.

بلغي أخاك أحر تحياتي ...ولك احترامي وتقديري .

Rue Varenne 77 باريس

يوم١٠ يونيو-و-حزيران ١٩٠٩

لـو أن لي في أعـماق قلبـي قليـلا مـن القـوة ومـن العاطفـة فلـن أتـردد أبـدا يـا عزيـزتي في أن أبعـث بهـما إليـك، كـوني عـلى يقـين مـن ذلـك.

لكـن الوقـت الـذي هـو الآن عمـل مـؤلم وطويـل لم يكـن أقـل اجهـادا وجسـامة بالنسـبة لي أنـا الـذي لم يعـد يـدري كيـف يتعـافى مـن ضيـق ثابـت ونافـذ.

حالتـي كـما أنـت عاينتهـا ازدادت سـوءا. وأنـا لم أكتـب ولـو سـطرا واحـدا طـوال هـذه الأشـهر، والربيـع نفسـه لم يتمكـن في هـذه المرة مـن التخفيـف مـن وطـأة مـا أعانيـه. بـل هـو زاد في ذلـك، لكـن أنـا ظللـت منفصـلا عنـه بحـواسي التـي بقيـت مغلقـة ومتبلّـدة. كـذا يمكـن أن تكـون (كـم مـن مـرة فكـرت في ذلـك) حالـة جـذع تكسر إلاّ أن قليـلا مـن اللحـاء لا يـزال يشـدّه إلى الشـجرة، لكنـه داخليـا لم يعـد يتمتـع بالنسـغ الحـي كـما هـو حـال بقيـة الجـذوع السـكرى بـه.

لكـن هـل يمكـن أن يكـون هـذا اعتـذارا منـي إليـك؟ وهـل أنـت تعتقديـن رغـم ذلـك أن الأمـر لا يتعلـق بكسـل جعلنـي لا أتقاسـم يأسـك؟

أخبريني إن عثرت على لحظة هادئة، كيف يتحمل المريض العزيز أجله الحزين والمؤلم، وهل تبقى لك شيء من القوة التي تسمح لك برعايته والسهر عليه وتقديم العلاج النافع الذي يشفي قلبه الذي يبتعد.

كوني قوية يا عزيزتي، وقاومي لتحافظي أكثر على الحياة. هذا ما يتحتم علينا أن نتعلمه.

ر. م. ريلكه

Rue de Varenne 77

٢٧أكتوبر ١٩٠٩

عزيزتي،

أخوك طيب القلب كان هنا عندي بوم الاثنين. تناقشنا طويلا، وبهدوء، وبصمت، وكل واحد منا كان مطيعا للضرورة التي تحتّمُها الثقة. وأخير حصلت على أخبارك التي كنت في حاجة إليها طوال الصيف الذي لا أحتفظ منه بأية ذكرى. وما كان متاحا هو أنه مَرّ لكي يُنسى. ومتوجعا دائما، كان عليّ أن أهب وقتي على حساب صحتي : على مدى وقت مديد، كنت أعارض ذلك، مُجهدا نفسي بعناد كان شاقا وعقيما للغاية. وفي النهاية، مرهقا، كان عليّ أن أغادر مكتبي لكي أحظى بعلاج قاس في بلدة صغيرة ب»الغابة السوداء». وهذا العلاج الأخرق، الخالي من أيّ متعة، لم يكن أفضل من الآخر. وإذا ما كان هناك شيء يواسيني فإنه الهواء الصحي للغابة، وأناشيد الينابيع الكثيرة التي تنهال من المنحدرات المعطرة لاهثة وضاحكة مثل حاملات أخبار مُسرّة. لكن مُحْبطا أكثر لأنني لم أ ستعد قواي هناك، غادرت بعد مرور أسبوعين. وبما أ نني لم أجد لا القوة ولا الشجاعة لكي أشرع في العمل من جديد، فإني تركت باريس مرة أخرى لأذهب الى أفنيون التي لم أعد منها إلاّ قبل وقت قليل. وعلى مدى بضعة أسابيع، أقمت في «البروفانس» الجميلة والمدهشة. وتلك المدينة المتعالية والعجيبة دائما والتي هي افنيون، وضواحيها المضيئة التي تتلامع مثل لوحة مُوَشّاة من الحرير موضوعة تحت البلور داخل اطار من الذهب

القديم. كم من مرة تمنيت أن أكتب لك من هناك. لي أشياء كثيرة أرغب في أن أرويها لك. لكن ما يمكن أن يكون استراحة مُسَلية للغاية إن أنا تكلمت معك مباشرة، يصبح شاقا إن أنا كتبت لك. لذا عندما أكون نائما في أفنيون، أحس أنني قريب من إيطاليا، وأفكر أحيانا في الذهاب إلى البندقية في اليوم التالي لكي أستريح بضعة أيام في أحضان صداقتك العزيزة التي لا مثيل لها. لكنك تعرفين تلك الأحلام التي لا غد لها. لذلك أنا أجهل كل شيء منذ فترة طويلة، ولا أعلم إن كنت في البندقية أم لا. وعالما الآن بالمصاب الذي ألمّ بأختك العزيزة، وبالألم الذي فُرِضَ على صبرها الشجاع والحكيم، أشعر بالسعادة لأنني لم أكن هناك لأشغلك عن العناية بها. من جانب آخر، كان بودي أن أتحادث بهدوء مع أختك في وقت تكون فيه عاجزة عن الحركة وشاعرة بأنها خارج مائة عمل مجهد يفرضها عليها ضميرها. وكم كنا نستمتع بأحكامها الدقيقة، وبخفة روحها، وبابتساماتها البريئة التي تضيء قناع وجهها الصارم بصفاء آلهة. قولي لها أن هناك دائما بعض الكنوز يمكن العثور عليها في مثل هذه الظروف القاسية، وأن بعدها سوف تشعر باستراحة على مدى قرن من العمل. أقبل يديك، يا عزيزتي، ولا تنسينني، واكتبي لي لكي تؤكدي أنك تتذكرينني دائما...

ر. م. ريلكه

Rue Varenne ٧٧ باريس

آخر ديسمبر١٩٠٩

عزيزتي،

كل الأماني والتمنيات لك ولأختك ولأخيك بمناسبة السنة التي ستبدأ هذه الليلة. لتكن سنة طيبة وعادلة، وربما رائعة بالنسبة لكم جميعا إذا ما أصلحتم بهدوء الأضرار التي ألمت بكم، والتي أوجعتكم أكثر من اللزوم :أنت تعلمين جيدا معنى الألم، ولست بحاجة إلى المزيد منه.

الإثنين، عندما أسعد برؤيتك، سوف تكون السنة الجديدة لا تزال في أولها، وسوف أسمعك بصوت عال، وبطريقة افضل، ما كتبته على عجل، مهووسا بالعمل الذي يتقدم ببطء.

«الباب الضيق» لجيد (يقصد الكاتب الفرنسي اندريه جيد و«الباب الضيق» من أشهر رواياته-المترجم) ينتظرك عندي.

أشدّ على يد أخيك، وأعانقكم جميعا.

ر.م. ريلكه

Rue Varenne 77 باريس

٣جانفي ١٩١٠

أ نـا لا أخـشى أبـدا، عزيـزتي، أن أعطيـك كتابـا مؤلمـا(ربمـا يقصـد «البـاب الضيـق» لأندريـه جيد-المترجم)وهـو لـن يؤذيـك. أليسـت الصفحـات الحزينـة حقـا هـي التـي تواسـينا بشـكل أفضـل؟

ر. م. ريلكه

باريس Rue Varenne ٧٧

جانفي

قبل أن أبدأ يومي، لنصلي يا عزيزتي إذ أن روحي عالية. تصوري أنه بعد كل هذا القحط، وكل هذا الجدب، يحدث أن أشعر أنني سأسجد داخليا مثل أولئك الزهاد الساجدين في لوحة الغريكو*، والذين يصبحون أعظم عندما يجثون على ركبهم. فلكأنهم انغرسوا في الأرض لكي يصعدوا إلى السماء بعد أن ينبثقوا منها، ويكونون أشجارا هائلة تزهر هناك في الأعالي، وتنفتح زهورها بشجاعة أمام عواصف الرؤى. تصوري أنه هنا في باريس حيث يتقاتل الناس من أجل المال في الليل وفي النهار، وحيث يفقد الإنسان حياته بألف طريقة خطرة، ومرعبة، يمكن أن يوجد واحد يستيقظ مثلي بروح تطمح إلى السمو عاليا. وأنا لازلت أختبر نفسي في هذه المدينة حيث فيها كل شيء ممكن، هذه المدينة التي تشبه يوم الحساب الذي يترك الملائكة والشياطين تفعل ما تشاء بحسب الضرورة. وما يحتفظ به القديسون الكبار بعناد حارق ومتواصل، أعانقه أنا للحظة، وأضعه في قلبي. وأنا لا أجهد نفسي بالإحتفاظ بكل هذه الوفرة وكل هذه الغزارة الروحية. على مسافة ربع ساعة من هنا سأقوم بعملي الذي سيكون ضئيلا اليوم، ومن دون فضيلة. سوف أكون مُنطفأ بحيث لن أتوفر على أية اشراقة واضحة، لكني سأخفي في داخلي الوعي اليقظ بأننا صلينا معا هذا الصباح.

نصلي...لمن؟ لا أقدر أن أجيبك فالصلاة اشعاع كياننا الذي يحترق فجأة. وهو توجه من دون نهاية ومن دون هدف. وهو توجه عنيف لطموحاتنا التي تخترق الكون من دون أن تفضي إلى أيّ شيء. آه كم كنت بعيدا هذا الصباح عن أولئك البخلاء الذين يتساءلون قبل أن يؤدوا الصلاة إن كان الله موجودا أم غير موجود. وإن كان موجودا أم غير موجود فما أهمية ذلك. صلاتي ستؤدي ل ذلك إذ أنها ابتكار خاص بي ينطلق باتجاه السماوات. وإذا ما كان الله الذي تطمح إليه خارجها لا يجيب فلا حرج: من جديد سأصلي، وسيكون الله أقلّ استهلاكا في الأبدية.

إذا ما أنا كتبت لك كل هذا، فلأنك تعلمين به دائما. وهذه الصلاة التي أشكلها لك قبل أن أبدا يومي المتواضع، لا تزال أقوى لديك. وهي تصعد من دون توقف من قليك، قلب العاشقة، وهي تبني وتدعم السماوات التي نهيئها على عجل لقلة صيرنا.

شكرا لأنك كتبت لي.

ر. م. ريلكه

* هو الرسام والفنان الكبير آل غريكو المولود في جزيرة كريت اليونانية عام ١٥٤١، والمتوفي في مدينة طليطلة الاسبانية عام ١٦١٤

Rue Campagne Première 17

٥ماي

صديقتي العزيزة،

منـذ حصـولي عـلى بطاقتـك وأنـا أرغـب في كل يـوم في أن أمـر لزيارتـك أو عـلى الأقـل لـكي أترجـى حضـورك، لكـن هـا أنـا أعـدل عـن فعـل هـذا وذاك في هـذه الأيـام لأن الزيـارات الكثـيرة التـي أداهـا لي المـارون مـن باريـس، لم تـترك لي ولـو لحظـة واحـدة مـن الهـدوء.

عـدت إلى اسبانيا منـذ فـترة قصـيرة. هنـاك أمضيـت كامـل الشـتاء، وحيـدا، واجـدا نفـسي في عـالم بطـولي للغايـة، وشـديد الغرابـة في نفـس الوقـت. لوقـت طويـل أقمـت في طليطلـة، ثـم في رونـدا، وهـي مدينـة صغـيرة بملامـح اسـبانية واضحـة جـدا، تقـع عـلى بعـد سـاعتين مـن جبـل طـارق. بـلاد خارقـة وعجيبـة. وطليطلـة، طليطلـة، لم يبالـغ آل غريكـو في رسـمها بتلـك الطريقـة الرائعـة. إنـه «العهـد القديـم»، ونحـن نشـتم فيـه رائحـة الأسـود، والأنبيـاء القدامـى.

سوف أحدثك عن ذلك في يوم ما.

هـل سـتعودين إلى البندقيـة هـذا العـام؟ أتمنـى أن يكـون الشـتاء جيـدا بالنسـبة لـك ولعائلتـك. قـولي كلـمات جميلـة لأختـك ولأخيـك، ولا تلومينـني عـلى عـدم قدومـي. فقلـد كنـت بحاجـة

إلى أن أتوحـد بنفـسي، ثـم جـاءت تلـك الزيـارات مـن كل النواحـي لـكي تحرمنـي مـن الهـدوء والوحـدة. لكنـي سـأغلق بـابي بقـدر مـا أسـتطيع. وعندئـذ سـوف يصمـد أمـام كل الذيـن سـيحاولون اقتحامـه. تلـك هـي رغبتـي عـلى الأقـل.

تحياتي الى البندقية المبتهجة بالربيع، ومحبتي لبيتكم الجميل.

ر. م. ريلكه

ملحق: السيدة ريلكه التي معي الآن تبلغك أجمل ذكرياتها.

البندقية ١١ماي ١٩١٠

صديقتي،

اكتبي لي ولو كلمة واحدة لكي أطمئن عليك وعلى صحتك. وعكة صحية ألمّت بي ومنعتني من السفر أمس. وكان عليّ أن أمضي يوما آخر (كان يوما حزينا).

ربما لست في صحة جيدة لكي تقرئي، لكنني لا أستطيع أ ن أغادر البندقية من مون أن أقول لك للمرة الأولى بإنني أفكر فيك بإحساس مُرّ. وإذا ما كان الأمر على هذه الصورة، فإن الخطأ ليس خطأي فقط، وإنما هو خطأك أنت أيضا يا صديقتي العزيزة. وعوض أن تستفيدي من قوتي، أنت تعتمدين على ضعفي، وتحطمين أنت نفسك باستعمال العنف ما أنا أرغب في أن أمنحك إياه.

هناك جُرْم وحيد يمكننا أن نرتكبه وهو أن يرتبط كل واحد منا بالآخر حتى ولو لوقت قصير. وإذا ما كان باستطاعتي أن أسعفك حقا، فلن يتحقق لك ذلك بإجهادي. وكم كانت حياتي ستتخذ صورة أخرى خلال الأيام الأخيرة لو أنك التزمت بحماية وحدتي التي أنا بحاجة إليها. وأنا أنني اغادر متعبا، وشارد الذهن، ومثقلا بالملامات والمؤاخذات تجاه نفسي. فهل هذا عدل؟ وكيف لي أن أتركك؟ تيقني أن التعزية التي يمكن أن تقدمها روحي لروحك، وتأثير روحي على روحك ليسا مرتبطين بالوقت الذي نمضيه معا، ولا بالقوة التي تشد كل واحد منا

للآخر، وإنما بجوّ معيّن لا بد أن نترك له الحرية ليفعل فعله. ربما أسيء التعبير لكنني أعتقد أنه يتوجب عليك أنت نفسك أن تكوني قرب مثل هذه الإضاءات، أون تفهميني حتى ولو تمّ ذلك رغما عنك. ومن الطبيعي أنه منذ البداية كان هناك خطأ في علاقاتنا، لكن يكفي أن نعترف بذلك بشكل واضح لكي نتحاشاه بكل قوة وصلابة.

لا تنسي أبدا أنني منذور للوحدة، وأنني لا أحتاج إلى أيّ أحد، وإنني كل قوتي تولد من هذه التجرد، وأنا أؤكد لك يا ميمي، أنني أتوسل إلى كل الذين يحبونني أن يحبوا أيضا وحدتي فمن دون ذلك يجدر بي أن أختفي عنهم فلا يروني ولا يلمسوني بأيديهم مثل حيوان وحشي يتخفى عن أنظار اعدائه الذين يلاحقونه.

سيكون من الأفضل ألاّ أغادر هذا المساء من دون أن تفهميني، أو على الأقل لكي تفهميني ذات يوم،. تمسكي بالحياة، أنت الموطّدةُ العزم، ولن تخذلك الحياة إذا ما أنت مؤمنة بها.

وداعا ميمي، وأنا أعتقد أننا سنكون قد تقدمنا خطوات عندما نلتقي مستقبلا. لا؟

ر.م. ريلكه

رجاء ضعي هذه الأوراق في النار إذ أ ن الاحتفاظ بها يجعلها أقل صوابا (وداعا مرة أخرى إلى أختك نانا).

البندقية

فندق لونا الكبير

الأحد صباحا ١٩١١

صديقتـي العزيـزة، أمـس ، لوقـت قصـير، التقيـت بالأمـيرة. وبعـد العشـاء، تـمّ الاتفـاق عـلى أن نقـوم معـا بـشيء مـا هـذا اليـوم. وربمـا نذهـب إلى الريـف إذا مـا كان الطقـس ملائمـا لذلـك. وإذن لـن يكـون باسـتطاعتي أن آتي هـذا الصبـاح مثلـما كنـت أرغـب في ذلـك، لكـن إذا مـا لم أكـن متعبـا بعـد عـودتي مـن الجولـة هـذا المسـاء، فإننـي سـآتي لـكي أراك ولـو لوقـت وجيـز. لا تنتظرينـي قصْـدا ولا تتعبـي نفسـك مـن أجـل لا شيء، إذ أننـا سـنلتقي غـدا إذا مـا كانـت صحتـي ملائمـة.

لكنـي سـأمر بـين السـاعة السـابغ=عة والثامنـة مسـاء لـكي أحييـك، وأتمنـى أن ألقـاك بحصـة جيـدة وسـعيدة.

إلى اللقاء صديقتي العزيزة.

ر. م. ريلكه

دوينو براسو مونفالكون -النمسا

ديسمبر

صديقتي،

بما أنه ليس لديّ نسخة أخرى من «حب مادلين»(١) سوى نسختي فإنني أرسلها إليك لتعيديها إليّ ذات يوم. وأنا على يقين أنك ستعجبين بهذا الخطاب الإلهي مثلما أعجبت به أنا. وكان اعجابي به مُتهيئا ومنتظرا منذ الأبد. فللمرة الأولى أعثر على عمل أحيه إذ أنه كان بإمكاني أن أنجزه، بل كان عليّ أن أنجزه. والآن لم يتبقى لي سوى ترجمته وهذا ما أنا أقوم به بكل ما يمكن من عناية، وبلطف بقود كل كلمة إلى أعز وأدق معانيها.

أترجاك يا عزيزتي أن تقولي لي في أيّ وقت يمكنني أن أزورك من دون أن يتعبك ذلك، أي عندما تكون لك خادمة، و...إلخ... إ ذ أنني أخشى أن أجعلك تخدمينني وهذا ما لا أقبله.

أفضل ألاّ أتوقف عن البرامج إذ أن وجودها بالنسبة لي يكون دافعا إضافيّا لكي أتصرّف بطريقة أخرى، أو قد يمضي كل شيء في طريق معاكس رغما عني. لكن كم أشتهي وكم أحب أن أكون في البندقية هذه المرة. جولتنا في «الليدو» كانت ممتعة. وكانت رغبتي في مواصلة الجولة حتى «سان نيكولا» قد بلغت أقصاها.

شكرا مرة أخرى لأختك نانا التي أخذتنا لكي نتأمل بإعجاب لوحات مارياشي(٢)البديعة. لكن «البيازيتا»، «البيازيتا» التي عندكم هي من الأشياء التي أثرت فيّ مثلما تؤثر فيّ الكواكب

التـي بملامسـتنا مـن بعيـد بلامبـالاة، تغـيّرُ زاويـة في قلوبنـا، وبتجاوزهـا لنـا هـي تنعكـس في مسـتقبلنا. يـا لـه مـن شيء رائـع ومخيـف !

إ ذا ما كتبت لأخيك، قولي له كم أنا أحببت بيتكم الجديد.

يكفـي. علـيّ أن أختـم لأن البرد شـديد في الغـرف في الصبـاح. لذلـك ليـس باسـتطاعتي أن أطيـل في الكتابـة.

شكرا وإلى اللقاء.

ريلكه.

هوامش:

-: بعـد أن أنهـى» دفاتـر مالطـه»(١٩١٠) قـام ريلكـه برحلـة إلى الجزائـر وتونـس ومـصر. وعنـد عودتـه مـن تلـك الرحلـة، أقـام في باريـس. وذات يـوم توقفـت بـه العربـة أمـام مكتبـة في شـارع «بـاك». علـى واجهتهـا رأى كتابـا صغـير الحجـم بعنـوان :» حـب مادلـين» كان قـد عـثر عليـه رجـل ديـن فرنـسي في المكتبـة الإمبراطوريـة بسـانت- بطرسـبورغ. وقـد فتنـه ذلـك الكتـاب الـذي وجـده منسـجما مـع توجهاتـه الروحيـة في تلـك الفـترة فقـام بترجمتـه إلى اللغـة الألمانيـة.

هو ميشال ماریاشي (١٧١٠-١٧٤٣) اشتهر برسم مشاهد دقيقة وواضحة.

دوينو براسو مونفالكون - النمسا

صديقتي العزيزة،

أنت تكتبين لي الرسالة التي تسطرها روحك الناعمة، وها أنا أجيبك على الفور لكي أشكرك على ذلك. وبما أنك ستغادرين بعد بضعة أيام، فإني أنتهز الفرصة لكي أتمنى لك سفرة سعيدة، ولكي أواسيك بسبب هذه المغادرة الحزينة التي ستبعدك إلى الأبد عن ذلك البيت الورديّ الذي كان كبيرا إذا ما نحن حكمنا عليه من خلال الذكريات التي يوحي بها إلينا ويثيرها فينا بشكل سخيّ.

لكن فكري في ذلك البيت الذي ينتظرك في «الليدو» والذي في اللحظة التي تنفصلين فيها عن البندقية هو يشرع في انتظارك حتى قبل أن تصلي إليه، مُشكلًا شيئا فشيئا ملامحك الشخصية من شدة ما تشوّق إلى ما هو فائق الوصف. هو ينتظرك مثل قناع جميل فيه تتخفين عندما تكونين قد تعبت من تلك الحياة في باريس. تلك الحياة التي تخفي هي أيضا بطريقة أخرى وبمبالغة كل ما هو مرئيّ.

أنا لا أرى أحدا مطلقا. وأنا أقرأ، وأعمل بقدر ما تتحمل طاقتي، وأتأمل بالأحرى البحر والسماء أكثر مما أتأمل حياتي التي لا أكاد أعرف عنها شيئا. وأنا أتمنى أن أجعل قلبي يتقدم بكل هذا شيئا فشيئا باتجاه مستقبل باسل، وباتجاه القوى المقدّرة له خارج الصدفة.

لا تغـادري مـن دون أن تحمـلي معـك أشـياء جميلـة لأختـك نانـا ولأخيـك. وكـوني متأكـدة أن مشـاعري الوديـة سـترافقك بلطـف في رحلتـك.

ريلكه.

دوينو براسو مونفالكون -النمسا

٢٧ديسمبر١٩١١

صديقتي العزيزة،

لكن لا، أنظري: أنا رجل أعمال كريه لأنني لم أتمكن من أن أحصل لك على الثمن المرغوب فيه. ولم أكن أرغب في أن أبالغ في الإلحاح لأن ذلك سيطيل المسألة. ثم إني تلقيت بعد ساعتين فقط بعد رسالة السبت التي أرسلتها إليّ، برقية من أخيك الذي قال لي :»تقبّل ذلك«. ومن رسالته التي وصلتني أمس، أرى أنه سعيد بما حصل، وأنا أترجاك ألاّ تغضبي مني، وكوني حليمة معي على الأقل.

كنت أريد أن أكتب لك يا عزيزتي يشأن الحفل، وأن أرسل إليك باقة زهور، لكنني لا أتحرك هنا ولا يمكن أن نجد أيّ شيء على الاطلاق. ليس هناك سوى أكواخ صيدي أسماك حول معمل للسردين. ثم أنني بمرور الزمن لم أعد أعير اهتماما للإحتفالات والمناسبات الرسمية. يا إلهي، لو كانت لي القوة ، لقلت أننا نحتاج إلى فضاء، وإلى الوفرة في المال لخلق احتفالات جديدة تكون مبهجة على الأقل.

عاما سعيد يا صديقتي، أعني بذلك عام البيت الجديد. أتمنى أن تسعدي به. وأتمنى لك المزيد من السعادة في مئات المجالات الأخرى، أو في مجالين بحسب حاجياتك. أما أنا فأحتاج أن أكون سعيدا في مجال واحد وهو أن أستدرك الوقت الضائع إذ

أن هنـاك دائمـا أوقاتـا أكـون فيهـا ضائعـا ومشـتتا. وخـلال السـنوات الأخـيرة، أنـا أعيـش مـا يشـبه منفـى طويـلا. هـل أعـود يومـا إلى بيتـي الداخـلي؟ لا أدري.

لقـد بـدّدت الكثـير مـن الوقـت في التفاهـات، ويجـدر بي الآن أن أمكـث هنـا، لأن الوحـدة التـي تـكاد تكـون بطوليـة متوفـرة، وعـليّ أن أسـتفيد منهـا لأنـه لا دواء غيرهـا. وإذا مـا أنـا جئـت لزيارتـك، فلـن يتـم ذلـك إلاّ في أواخـر جانفـي. لكنـي أترجـاك ألاّ تكـوني متأكـدة مـن ذلـك، ولا تلومينني عـلى أنانيتـي. وفي سـياق آخـر، يمكـن أن تكـون أنانيتـي أكـبر لـو أننـي ذهبـت إلى فيينـا. لكـن هنـاك أنانيـة أخـرى كونيـة تأمـرني بـأن أقـوم هنـا بعمـل داخـليّ شـاق، وأرجـو مـن اللـه أن يمنحنـي القـوة لـكي أتمكـن مـن إنهائـه.

تحياتي صديقتي.

ريلكه.

قصر دينو قرب نابراستينا

(الساحل النمساوي)

٥مارس١٩١٢

صديقتي العزيزة،

إني ابتهج أحيانا بالتفكير في أن أحصل على البعض من أخبارك لكن عليك أن تعلمي أنني حزين أن تكون أخبارك على هذه الصورة(...)

بالنسبة لما تبقى يا عزيزتي، أرجو أن تتحلي بالشجاعة. وإذا ما كان الأمر متعلقا بالتهاب الزائدة، فإنه أصبح من السهل معالجته، وما نحن نتمناه هو أن ينتهي كل شيء من دون تعقيد. وربما يوفر هذا الحادث المؤلم أختك نانا فرصة استراحة هي بحاجة إليها إذ أن الوقت الذي أمضته مؤخرا في البندقية سبب لها ارهاقا متواصلا.

ورغم كل هذا، عليك يا ميمي أن تحافظي على رباطة جأشك لأن ذلك سيكون معينا لك في أوقات الشدة.

أنا أتمنى أن أجيء لزيارتكم لكن في الظرف الراهن أنا أكتفي بكتابة هذه الكلمات على عجل، وأرجو أن يكون ذلك مفيدا.

نعم أنا أعلم أن الوقت قد حان للعودة إلاّ أنني شرعت في البداية في القيام بأعمال فنية (طبيعتي الآن لا تمتلك القوة الكافية لتحمل العنف)، لكن دراسات تاريخية تأخذ مني كامل اليوم وشطرا من الليل، وأنا أريد أن أنهيها. وهذا ما

يشـدني إلى هنـا مـع فرصـة توفـر مكتبـة رائعـة، وفي كل يـوم وحـدة قاسـية بـدأت الآن تتزيـن بزقزقـات عصافـير في الخـارج مشـيعة رقعـة مـن الصفـاء في هـذه البـلاد المستسـلمة.

يكفـي يـا صديقتـي العزيـزة، البريـد الثـاني قـدم، وعـليّ أن أنهمـك في كتابـة رسـائل أخـرى. تمنيـاتي بالشـفاء إلى أختـك نانـا وتحيـاتي الخاصـة إلى أخيـك في انتظـار أخبـار سـارة منـك.

صديقك ريلكه.

أربع رسائل إلى لو أندرياس سالومي

ملاحظة: لو أندرياس سالومي (١٨٦١-١٩٣٧) من أشهر نساء عصرها جمالا وثقافة وأدبا وفلسفة. بها فتن البعض من المشاهير مثل نيتشه وفرويد الذي كان قد جذبها إلى علم النفس لتصبح من المهتمين به. وقد ارتبطت لو اندرياس سالومي بعلاقة عاطفية مع ريلكه بعد لقائها به في مدينة ميونيخ. كما أنها سافرت معه إلى روسيا للقاء ليون تولستوي.

الرسالة الأولى

اوبارلاند قرب بريمن

٨أغسطس-أب ١٩٠٣

(...)منذ المرة الأولى التي ذهبت فيها للقاء رودان(١)، وتناول الغداء عنده في «مودون»(٢)، برفقة ضيوف لا يتم تقديمهم إليك، غرباء، مجتمعين حول نفس الطاولة، أدركت أن بيته لا يعني له شيئا، وقد يكون مجرد ضرورة بائسة، وسقفا يحتمي به من المطر، وتحته ينام. كما أدركت أنه ليس مهما بالنسبة له، ولا بالنسبة لوحدته، وأن تأمّله عبء ثقيل. وفي أعمق أعماقه، هناك العتمة، والملاذ، وهدوء البيت، وهو نفسه السماء التي فوق، والغابة من حوله، والامتداد، والنهر دائم التدفق أمامه. يا له من كائن مُتوحد بنفسه هذا الشيخ المهدّم، واقفا، ممتلأ

بالنسـغ، مثـل شـجرة عجـوز في عـزّ الخريـف. لقـد جعـل مـن نفسـه كائنـا عميقـا. وقـد حَفَـرَ عميقـا في قلبـه، قلبـه الـذي تـأتي نبضاتـه مـن بعيـد، كـما لـو أنهـا آتيـة مـن عمـق جيـل. وأفـكاره تتحـرك في داخلـه، وتُضْفـي عليـه صرامـة ونعومـة من دون أن تفقـد قوتهـا عـلى السـطح. لقـد اكتسـب قـوة ومناعـة، نافـرا مـن كل مـا هـو غـير جوهـري، لينتصب وسـط الرجـال الآخريـن كـما تحـت حمايـة لحـاء قديـم. لكـن بالنسـبة لمـا هـو جوهـريّ، هـو يَنْحَـلّ في الحـين، وقـرب الأشـياء، أو عندمـا النـاس أو الحيوانـات تَلْمُسُـه وهـي بكـماء مثـل الأشـياء، هـو يكـون مفتوحـا بشـكل كامـل. هنـاك، يظهـر وكأنـه تلميـذ، ومبتـدئ، وملاحـظ ومحـاكي الجـمال الضائـع الـذي إلى حـدّ الآن هـو ضائـع بـين الكائنـات النائمـة، السّـاهية أو اللامباليـة. هنـاك، هـو المنتبـه الـذي لا يفلـت عنـه أيّ شيء، والعاشـق الـذي لا ينقطـع عـن تقبـل كل مـا يـبرز ويتجـلى، الصبـور الـذي لا يـزن زمنـه ولا يفكـر في الربـح الفـوري. مـا يـراه، ومـا يحصـل عليـه مـن تأمّلـه، هـو دائمـا بالنسـبة لـه الكـون الفريـد حيـث كلّ شيء يحـدث. وعندمـا ينحـت يـدا، تكـون الوحيـدة في الفضـاء، ولا شيء يوجـد غيرهـا. اللـه لم يبتكـر خـلال سـتة أيـام سـوى يـد. وحولهـا نـشر الميـاه، وفوقهـا نصـب السـماء. وحـين انتهـى كلّ شيء، هـو يسـتريح لأنـه ابتكرهـا، وكانـت هنـاك إشراقـة ويـد.

وإذا مـا كانـت هـذه الطريقـة في النظـر، وفي العيـش متأصلـة فيـه، فلأنـه حصـل عليهـا كحـرفيّ. وبحصولـه عـلى العنـصر الخـالي تمامـا مـن كل مـا هـو مـادي، والبسـيط في فنـه، هـو حصـل أيضـا عـلى الإنصـاف، وعـلى التـوازن أمـام العـالم الـذي لا يزعزعـه أيّ إسـم.

ولأنـه منـح القـدرة عـلى أن يـرى أشـياء في الـكلّ، هـو امتلـك القـدرة عـلى بنـاء أشـياء. وفي ذلـك تمكـن عظمـة فنـه(...).

رودان الـذي ولـد في الفقـر، وعـاش في ظـروف تعسـة، عايـن أكـثر مـن أيّ شـخص آخـر أن كلّ جـمال، سـواء إن كان لـدى الانسـان أم لـدى الحيـوان، مُهـدّد بالظـروف وبالزمـن، وهـو لحظـة، وشـباب يخـترق كل الأعـمار، لكنـه لا يدوم(...)والأفـكار العظيمـة، والمعـاني السـامية، جـاءت إليـه عـلى شـكل قوانـين تتجـلى في الأعـمال المكتملـة. وهـو لم يطلبهـا، ولم يرغـب فيها. هـو تابع الطريـق مـن الأسـفل، مثـل خـادم، وكـوّن أرضـا، مئـات مـن الأراضي. لكـن كل أرض تحيـا، تشـعّ عـلى سـمائها وتلقـي بعيـدا في الأبديـة لياليهـا المرصّعَـة بالنجـوم(...) وأعمالـه هـي التـي حمتـْه. وهـو سَـكَنها كـما يسـكن غابـة، وكانـت لا بـد أن تكـون حياتـه مديـدة لأن مـا غَرَسَـهُ أصبـح شـجرة ضخمـة عاليـة. حـين نتيـه بـين الأشـياء التـي بالقـرب منهـا، يسـكن ويعيـش، والتـي بإمكانـه أن يراهـا وأن يكملهـا مـن جديـد في كل يـوم، يكـون بيتـه وأصـوات بيتـه، شـيئا غـير ملمـوس وغـير محسـوس، وثانـوي إلى درجـة أننـا لا نـرى شـيئا آخـر غـير مـا يمكـن أن نـراه في الحلـم بتفاوتـات عريضـة ومختـارات مـن الذكريـات الباهتـة. حياتـه اليوميـة، والكائنـات المحيطـة بـه تبـدو كـما لـو أنهـا المجـرى الجـاف الـذي لم يعـد يتدفـق فيـه. لكـن ليـس هـذا بالأمـر المُحْـزن . فقريبـا مـن هنـاك، نحـن نسـمع الضجيـج، والخطـوة القويـة للنهـر الـذي لا يريـد أ ن ينقسـم إلى مجريـن. وأنـا أعتقـد يـا لـو العزيـزة، أنـه لا بـد أن يكـون الأمـر عـلى هـذه الصـورة...في كل قصيـدة أفلـح في كتابتهـا، هنـاك الكثـير مـن الواقـع كـما في كل واقـع أعيشـه، أو رغبـة أعيشـها. في كل

مـا أنـا أبتكـر، أن حقيقـي، وأريـد أن أجـد القـوة لتأسـيس حيـاة منسـجمة مـع هـذه الحقيقـة، ومـع هـذه البسـاطة، ومـع هـذا الفـرح اللامتناهـي الـذي يوهـب لي أحيانـا. وحينـما ذهبـت إلى رودان، كنـت قـد بحثـت مـن قبـل عـن هـذا. وعـلى مـدى سـنوات، كنـت أتحسّـسُ المثَـلَ ، والنمـوذجَ الـذي هـو عملـه الفنـي. والآن بعـد أن عـدت مـن هنـاك، أعلـم أنـه ليـس عـليّ أن أبحـث عـن نمـاذج وعـن أمثلـة أخـرى، أو أن أرغـب فيهـا إلاّ في عمـلي. فهنـاك منـزلي، وهنـاك الوجـوه القريبـة منـي، والنسـاء الـلاتي أنـا بحاجـة إليهـن، والأطفـال الذيـن سـيكبرون، ويعيشـون طويـلا. لكـن كيـف العثـور عـلى مدخـل هـذا الطريق-وأيـن هـو في فنـي، مهنتـي، وفي نقطتـه السـفلى، والأشـد صغـرا، التـي انطلاقـا منهـا، أشرع في عمـلي؟ سـوف أصعـد إلى أبعـد حـد ممكـن لـكي أعـثر مـن جديد عـلى هـذه البدايـة، وكل مـا قمـت بـه مـن قبـل لـن تكـون لـه أيـة قيمـة، ولـن يكـون أقـل مـن ضربـة مكنسـة عـلى عتبـة حيـث يـترك الضيـف الجديـد مـرة أخـرى أثـرا للطريـق. لي مـن الصـبر مـا يكـون صالحـا لقـرون عـدة، وسـوف أعيـش كـما لـو أنننـي سـأعيش سـنوات مديـدة. أريـد أن أجْـمَـعَ نفـسي بعيـدا عـن كل مظاهـر التسـلية، وأن أعـثر مـن جديـد خللَ المكتسـبات المتسرعـة، عـلى مـا هـو لي، لحمايتـه مـن التلـف والضيـاع والتشـتت. لكنـي أسـمع أصواتـا سـليمة المقصـد، ووقْـعَ خطـوات تقـترب...أبـوابي تـدق... حـين أخاطـب الآخريـن، هـم لا يـدرون كيـف ينصحوننـي، وهـم لا يفهموننـي. وأمـام الكتـب، أنـا في نفـس الوضـع (أي في حـيرة مـن أمـري) إذ أنهـا لا تسـاعدني هـي أيضـا، كـما لـو أنهـا إنسـانية أكـثر مـن اللـزوم...وحدهـا الأشـياء تكلمنـي، وتخاطبنـي. أشـياء رودان،

تلك التي نراها في الكاتدرائيات الغوطيّة، وفي الأشياء القديمة، أي في الأشياء المُكْتَمَلَة. وهي تُحيلُني إلى نماذجها، وإلى العالم المتحرك، العالم الحي، العالم الذي يُرى بكل بساطة، من دون تأويلات، كما لو أنها مجرد ذريعة وحجة للأشياء. وقد بدأت أنظر بشكل مختلف: فالأشياء كانت قد أصبحت من قبل مهمة جدا بالنسبة لي، وأما الحيوانات فستثيرني بأشكال غريبة. حتى الكائنات البشرية، أشعر بها على النحو التالي: أياد تعيش في أمكنة ما، وأفواه تتكلم، ونظرتي إلى كل هذا أكثر هدوءا، وأكثر انصافا.

مع ذلك لا يزال ينقصني النظام دائما. النظام الذي هو سلطة وواجب العمل اللذان أطمح إليهما منذ سنين عدة. فهل القوة هي التي تنقصني؟ أو هل أن ارادتي مريضة؟ أو هل أن الحلم الذي فيّ هو الذي يعرقل كل فعل؟ الأيام تمر، وأحيانا أسمع الحياة وهي تمر. ولا شيء يحدث، وليس هناك حولي ما هو واقعي وحقيقي. وأنا لا أكاد أنقطع عن أن أنقسم، وأن أتفرع إلى مجار وجداول صغيرة فيها أضيع، في حين أنني أرغب في أن يكون لي مجرى واحد، وأن أكبر. ذلك أن الأمر لا بد أن يكون على هذه الصورة يا لو، أليس كذلك؟ نحن نريد أن نكون مثل نهر، وليس مجار لسقي الحقول. أليس علينا ان نتجمع، وأن نُرْعِدَ ونضج؟ وربما يكون لنا ذات يوم عندما نشيخ، في النهاية، أن نتفرع لكي نكون دلتا...يا عزيزتي لو...

راينار

هوامش:

-١: هــو أوغســت رودان(١٨٤٠-١٩١٧) فنــان ونحــات فرنــسي شــهير كان ريلكـه قـد قبـل العمـل سـكرتيرا لـه في شـبابه ليتعلـم مـن تجربتـه الفنيـة.

-٢: مودون ضاحية من ضواحي باريس كان رودان يقيم ويعمل فيها.

الرسالة الثانية

روما(١)- ٥شارع دال كامبيدوغليو-

٣نوفمبر١٩٠٣

هـل احتفظـت يـا عزيـزتي لـو بفكـرة عـن رومـا؟ وكيـف هـي في ذاكرتـك؟ في ذاكـرتي أنـا لـن تكـون ذات يـوم سـوى مياههـما، مياههـا الصافيـة، الأثـيرة، المتدفقـة التـي تعيـش عـلى سـاحاتها، ومدارجهـا التـي بُنيـت عـلى شـكل شـلالات، وبطريقـة عجيبـة هـي تسـحب مدرجـا مـن مـدرج آخـر، مثلـما تفعـل الموجـة مـع موجـة أخـرى. كـما سـتحتفظ ذاكـرتي بفخامـة حدائقهـا، وأبهـة وجـمال شرفاتهـا العريضـة، وبلياليهـا الطويلـة، والهادئـة، المثقلـة بالكواكـب والنجـوم.

عـن ماضيهـا الـذي احتفـظ بـه بشـكل دقيـق، ربمـا لا أعـرف شـيئا. لا شيء عـن المتاحـف المليئـة بالتماثيـل الخاليـة مـن المعنـى، ولا شيء كثـيرا عـن اللوحـات. ربمـا سـأتذكر تمثـالا مـن البرونـز لمـارك اوريـل(٢) في متحـف «الكابيتـول»، وبقطعـة جميلـة مـن المرمـر في متحـف «لودوفيـشي»(عـرش أفروديـت)، وبمشـهد يتفتـح عـلى «كامبانيـا» الكئيبـة، وبطريـق متوحـد يمـضي للقـاء المسـاء، وبالحـزن العميـق الـذي كنـت قـد عشـته.

والذي لا أزال أعيش فيه.

ذلك أنني غير راض عن نفسي لأنني بعيد عن العمل اليومي. وأنا متعب من دون أن أكون مريضا، لكني مُكْتَئِب ومهموم. فمتى، متى يا لو، ستصبح هذه الحياة البائسة خلاّقة، ومتى ستكبر فيما وراء العجز، والكسل، والاضطراب النفسي لكي تدرك الفرح البسيط والورع الذي تصبو إليه. لكن هل ستكبر فقط؟ بالكاد أجرؤ على تفحّص تطوراتي، خشية (مثل شخصية تولستوي٣) أن أكتشف أنني أدور في حلقة مُفرغة،،وداءما أعَادُ إلى نفس المكان المشؤوم الذي منه انطلقت أحيانا. من أيّ مكان يمكن أن أنطلق مرة أخرى راهنا، خَلَلَ المصاعب التي أعجز عن التعبير عنها، وبشجاعة غير كافية.

هكذا يبدأ شتائي في روما. سأحاول أن أشاهد أشياء كثيرة، وسوف أذهب للقراءة في المكتبات. وعندما أتمكن من أرى بوضوح داخل نفسي، سوف أقلل من الحركة قدر الإمكان داخل البيت، مركزا على ما هو الأفضل في ما لم أفقده بعد. أوقاتي وقواي في وضعي الراهن، لا يمكنها التركيز إلاّ على نشاط واحد، نشاط واحد فقط، وهو يتمثل في اكتشاف طريق العمل اليومي الهادئ، حيث أجد مسكنا أكثر أمانا، وأكثر استقرارا في العالم المضطرب، والمريض الذي ينهار خلفي، وأمامي ليس له وجود. ومسألة أن أعرف إذا ما سأكون قادرا على اكتشاف هذا الطريق ليست جديدة- إلاّ أن السنوات تمر، وهي تصبح مُلحّة أكثر من أي وقت مضى. وعليّ أن أكون في الموعد. وأنت تعلمين من خلال رسائلي السابقة كيف هو حالي الآن. وحالي ليس جيدا.

منذ منتصف نوفمبر، أصبح لي بيت هادئ. وهو يقع في خلفية حديقة شاسعة وقديمة ل»بورتو دو بوبولو»، قرب فيلاّ «بورغيز(٤).وهو مبنيّ على طراز بيت للمتعة، وهو لا يحتوي إلاّ على قاعة كبيرة، ولا نوافذ له. من سقفه، نرى ما خلف الحديقة، المناظر الطبيعية، والجبال. وفي هذا البيت سوف أحاول أن أنظم حياتي بحسب طريقة الأيام في «فالدفريدن» في «شمارغاندورف»(٥). كما سأحاول أن أكون هادئا، وصبورا، منغلقا على الخارج مثلما هو الحال في الفترة الموسومة بالترقب والفرح. لتكن أيام «السلام في الحديقة (٦).

لكن بما أنني لا أملك كتبا، وأنني لا أمتلك المهارة اللازمة للاستفادة من المكتبات، فإنني أطلب منك خدمة: هل تتذكرين تلك الترجمة الحديثة، والعلمية للإنجيل، والتي كنت قد حدثتني عنها ذات يوم، وهل بإمكانك أن تذكري لي في هذه الحالة، اسم المترجم، واسم الناشر لكي أتمكن من الحصول عليها هنا؟ وحتى لا أكون مّشطا في مطالبي، اذكري لي أيضا عناوين كتب قرأتها في الفترة الأخيرة. ففي وضعي الحالي، اسداء مثل هذه الخدمة سوف يكون لي خير مُعين.

لكن قبل كل شيء، أنا بحاجة إلى رسالة منك يا لو. لقد فكرت فيك طويلا خلال الرحلة، ثم هنا، ودعوت كثيرا لكي تعودي من الجبل وأنت في صحة جيدة. ومن بين كل الأفكار التي تراودني، الوحيدة التي تمنحني الطمأنينة والسلام هي تلك التي تذهب إليك. ويحدث أن أتمدد فيها بكامل قامتي، ثم أنهض بعد أن أكون قد غفوت فيها.

إنـه الخريـف هنـاك عنـدك. وهـا أنـت تسـيرين الآن في الغابـة، الغابـة الكبـيرة، حيـث كانـت النظـرة قـد مضـت بعيـدا في الريـاح التـي تغـير العـالم. أفكـر في البحـيرة الصغـيرة، هنـاك يسـار طريـق «داهـلام» الـذي يصبـح في هـذا الفصـل شاسـعا جـدا، ومتوحـدا جـدا. أفكـر في المسـاءات التـي يتبعهـا ليـل تحتـدم فيـه العواصـف التـي تجتـثّ مـن الأشـجار كلّ أوراقهـا، الليـل الـذي يطـير أمـام النجـوم لـكي يغـرق في الصبـاح الطالـع. أفكـر في الصبـاح الفـارغ، الجديـد، الصـافي، وقـد غسـلته العواصـف...أمـا هنـا فـلا شيء يتغـير. فقـط الأشـجار تصبـح كـما أنهـا أزهـرت بالأصفـر. وتظـل زهـرة الدفـلى.

راينار

هوامش:

-١: كان ريلكـه قـد وصـل إلى رومـا في العـاشر مـن شـهر سـبتمبر١٩٠٣ وظـل فيهـا حتـى نهايـة شـهر حزيران-يونيـو١٩٠٤ .

-٢: مـارك أوريـل (١٢١-١٨٠) مـن أ عظـم أباطـرة الإمبراطوريـة الرومانيـة في عـز مجدهـا. وكان أيضـا فيلسـوفا وحكيـما.

-٣: يعني قصة تولستوي «السيد والخادم».

-٤: من أشهر المعالم السياحية والثقافية في العاصمة الايطالية روما.

-٥: معلم ثقافي في برلين يقع وسط غابة جميلة.

-: كان المنزل في «شمارغاندورف» يسمى «سلام الغابات».

الرسالة الثالثة

٩ نوفمبر١٩٠٣

روما، فيلا ستروهل-فارن

١٥جانفي١٩٠٤

لـو، يـا عزيـزتي لـو، أكتـب تاريـخ آخـر رسـائلك في أعـلى الورقـة الأولى مـن رسـالتي فقـط لـكي أتأكـد مـن أن أيّ رسـالة منـك لم تضـع ذلـك أن البريـد الايطـالي لا ينقطـع عـن تذكيـة الشـكوك مـن هـذا النـوع.

هـا أنـا ذا يـا عزيـزتي لـو، في جناحـي الصغـير، حيـث أعيـش سـاعتي الهادئــة الأولى بعـد اضطرابـات متكـررة. الآن كل شيء في القاعـة البسـيطة في مكانـه الخـاص بـه، وهـو يمكـث، ويعيـش، ويسـتقبل النهـار والليـل. في الخـارج، حيـث تهاطلـت الأمطـار بغـزارة، هنـاك ظهـيرة ربيـع قـد لا تكـون غـدا، لكنهـا موجـودة في هـذا الوقـت كـما لـو أنهـا منـذ الأبـد. وكـم هـي صافيـة هبات الريـح الخفيفـة التـي تطيعهـا أوراق الأشـجار، أوراق الدفـلى اللامعـة وباقـة الأوراق غـير الواضحـة لغيضـة أشجار البلـوط الخضراء، وكـم هي مُسْـتَأمنة البراعـم المحمـرة للأشـجار التـي لم تفقـد إلا القليـل مـن أوراقهـا، وكـم هـو منتـشر العطـر الـذي يتعـالى مـن حقـل النرجـس الأخـضر، والرمـادي الفاتـح، في عقيـق الحديقـة، تحـت العقـد المتُأمـل لجسرهـا القديـم. لقـد كَنَسْـتُ مـن سـقفي الآثـار الثقيلـة للمطـر، ودفعـت إلى جانـب الأوراق الميتـة لشـجر البلـوط، وهـذا بعـث فيّ

نشـاطا، وحـرارة. والآن بعـد هـذا العمـل الموضوعـي الصغـير، أشـعر بالـدم يتدفـق في عروقـي مثلـما في الشـجرة. ولأول مـرة منذ أمـد طويـل، ينتابنـي إحسـاس خفيـف بالحريـة، وبجـوّ احتفالي-كـما لـو أنـك تتأهبـين للدخـول. هـذا الشـعور بالفـرح سـوف يمـر أيضـا. ومـن يعلـم أنـه خلـف الجبـال البعيـدة يتهيـأ ليـل آخـر مـن أمطـار سـوف تفيـض عـلى سـقفي مـن جديـد، وسـوف تـأتي ريـاح عاتيـة مـن فـوق خطـواتي بالسـحب.

إلاّ أننـي أشـعر أن هـذه السـاعة ليـس عليهـا أن تمـر مـن دون أن أكتـب إليـك. ليـس لي الحـق أن أتغافـل عـن اللحظـات النـادرة التي تسـتبد بي الرغبـة في الكتابـة إليـك، لحظـات أكـون فيهـا هادئـا، صـافي الذهـن، ووحيـدا لـكي أقـترب منـك، إذ أن لي أشـياء كثـيرة أريـد أن أقولهـا لـك. أقيـم في باريـس، عنـد دوران-رويـال، خـلال ربيـع السـنة الفائتـة، معـرض للوحـات القديمـة، ولرسـوم جداريـة قادمـة مـن فيـلاً في ضواحـي «بوسـكوريال»، وقـد تـمّ عرضهـا في مجملهـا آخـر مـرة، وهـي باليـة ومتقطعـة، قبـل أن تسـمح الصدفـة للمـزاد العلنـي بتشـتيتها. وكانـت تلـك الرسـومات القديمـة هـي الأولى التـي أشـاهدها، ولم أكـنْ قـد رأيـت مـن قبـل مثيـلا لهـا في جمالهـا هنـا. ويبـدو أن متحـف نابـولي لا يمتلـك أفضـل منهـا، من ذلـك الزمـن الـذي يـكاد يغـرق في النسـيان، والـذي كان قـد عـرف فنانـين كبـارا. مـن بـين كل رسـومات الزينـة، واحـدة فقـط ظلـت كـما هـو في صورتهـا الأولى رغـم أنهـا كانـت الأكـبر، وربمـا أنهـا قـد تكـون الأكـثر تعرّضـا للتلـف والعطـب. وهـي تمثـل امـرأة جالسـة بهـدوء، تسـتمع بوجـه رصـين، ومسـتقيم وخـال مـا أيّ علامـة مـن علامـات الاضطـراب، إلى رجـل يتحـدث بصـوت خافـت، وقـد بـدا

مُنْشغل الذهـن، إلى هـذه المـرأة، وإلى نفسـه في ذات الوقـت، بذلك الصوت الحالـك حيـث المصائـر التـي مـرت تنعكـس مثـل ضفـاف مُلْتَبسَـة. هـذا الرجـل، إذا لم تخنـي الذاكـرة، كان يضـع يديـه عـلى عصـا. وكانـت أصابعـه مُلْتَفَّـة حـول تلـك العصـا التـي قطـع بهـا مسـافات مديـدة في أصْقَـاع بعيـدة. وكانـت يـداه تسـتريحان وهـو يتحـدث (مثـل الـكلاب التـي تتمـدد لتنـام بينـما سـيّدُها يـشرع في روايـة حكايـة استشـعرت أنهـا سـتكون طويلـة). لكـن رغـم أن هـذا الرجـل كان قـد تقـدم في حكايتـه، ورغـم أنـه لا تـزال أمامـه ذكريـات كثيرة (سـهل مـن الذكريـات، إلاّ أن الطريـق يتعَـرَّجُ فجـأة)، نحـن نَحْـدسُ أنـه هـو القـادم، وأنـه هـو الـذي جـاء إلى تلـك المـرأة الهادئـة والجليلـة. وكانـت لا تـزال واضحـة عليـه آثـار القـدوم مثلـما هـي آثـار الموجـة عـلى رمـل السـاحل، حتـى وهـي تتراجـع وقـد لمعـت مثـل البلـور. ولم يكـن ذلـك الرجـل قـد تخلّـصَ بعـد مـن تبعـات العجلـة التـي لا يمكـن أن يتخلـص منهـا حتـى المسـافر الأكـثر خـبرة ودرايـة ونضجـا. وكانـت حساسـيته لا تـزال مشـدودة إلى مـا هـو مُتغيّر ومفاجـئ. وكان دمـه لا يـزال يـسري في قدميـه اللتـين كانتـا أشـدّ اضطرابـا مـن يديـه، ولم تكونـا بعـد قادرتـين عـلى أن تنامـا. وهكـذا، الحركـة والاسـتراحة وقـد جُمعتـا، وقرّبـت كل واحـدة مـن الأخـرى في هـذا المشـهد، لا تشـكّلان مُفَارَقـة، وإنمـا بالأحـرى مسـاواة، ووحـدة مُنْتَهيـة، تنغلـق ببـطء مثـل جـرح في طـور الالتئـام. ذلـك أن الحركـة نفسـها كانـت قـد سـكنت، وكانـت تتمـدد كـما يتمـدد الثلـج الـذي يسّـاقَطُ بهـدوء مُتَحـوّلا إلى مشـهد مثلهـا هـي عندمـا تتمطّـطُ عـلى أشـكال البعيـد. إن المـاضي، وهـو يعـود، بأخـذ ملامـح الأبديـة، ويكـون شـبيها

بالأحـداث التـي غيّرهـا، والتـي ترسـم وجـود المـرأة.

لـن أنـسى أبـدا الطريقـة التـي بهـا جذبتنـي إليهـا تلـك اللوحـة الفنيـة العظيمـة والبسـيطة. لوحـة فنيـة خالصـة بحيـث لم تشـتمل إلاّ عـلى وجهـين، وكانـت مثقلـة بالمعـاني لأن الوجهـين كانـا يتميـزان بحضـور قـوي، ومرتبطـين بـضرورة سـامية. وقـد أدركـت المعنـى العميـق لتلـك اللوحـة مـن أول نظـرة مثلـما هـو الحـال مـع اللوحـات الجيـدة التـي يكـون فيهـا محتـوى الأسـاطير واضحـا جليّـا. في باريـس، في ذلـك الوقـت المبهـم، حيـث كان كل شـعور يبـدو وكأنـه يسـقط مـن أعـلى عليـين عـلى روحـي، اتخـذت رؤيتـي لتلـك اللوحـة الجميلـة نـبرة حاسـمة. فكـما لـو أنـه سُـمح لي بـأن أرى مـا وراء كل شيء مـا كان يهـددني، عمـلا مكتمـلا. وذلـك هـزني، وكان سـندا لي. عندئـذ باغتتنـي الجـرأة في أن أكتـب إليـك، يـا عزيـزتي لـو، إذ أنـه بـدا لي أن الطريـق الأكـثر ابهامـا وغموضـا يمكـن أن يتخـذ لـه معنـى مـن خـلال العـودة المكتملـة لامـرأة تسـكن نضجهـا وهدوءهـا، امـرأة جليلـة قـادرة مثـل ليـل صيفـي عـلى أن تسـمع كل شيء: همسـاتها المذعـورة، والنـداءات، والنواقيـس...

لكـن أنـا، أنـا ابنـك المُـسْرِفُ المتـلاف بشـكل مـا، لا أزال أحتـاج إلى وقـت طويـل قبـل أن أكـون راويـا، وأن أكـون عـرّافَ طريقـي، وكاتـب وقائـع مصيري في المـاضي. ومـا أنـت تسـمعينه ليـس سـوى وقـع خطـوتي وهـي تواصـل سـيرها. تواصـل سـيرها في طـرق غامضـة، وهـي تبتعـد عـن مـا لا أدريـه إذا لم تكـن تقـترب مـن شيء مـا. فليفـض فمـي ذات يـوم، فقـط حـين يتحـول إلى نهـر عظيـم، إلى سـمعك وإلى هـدوء أعماقـك المفتوحـة-تلـك هـي الصـلاة

التـي أتلوهـا في كل سـاعة حاسـمة، وفي كل لحظـة توجـس، وحنـين أو فـرح قـادر عـلى الاحتفـاظ والاسـتجابة. حتـى ولـو بـدت لي حياتي الآن تافهـة، وخاليـة مـن أيّ معنـى، وشـبيهة بـأرض ليـس فيهـا غير الأعشـاب الطفيليـة، ولا تحلـق فوقهـا غـير طيـور الصدفـة، باحثـة عـن بـذرات مهملـة ومتروكـة، فإنهـا لـن تكـون عـلى صورتهـا البهيّـة إلا يـوم يكـون بإمـكاني أن أرويهـا لـك، وسـتكون عندئـذ كـما سـوف تسـمعينها.

الرسالة الرابعة

راينار

روما -فيلاّ ستروهل-فارن

ابريل-نيسان

عزيزتي لو،

عندما تظهرين في حلمي، مثلما يحدث ذلك أحيانا، فإن هذا الحلم وصداه يكونان في اليوم التالي أشد واقعية من الوقع ذاته. إنه حَدَث وعالم. أفكر في هذا لأن الليلة الفاصلة بين ١٠ و١١، وليلة ١١ نفسها(تاريخ بطاقتك) مضت على هذه الصورة : في حضورك الذي يمنح الهدوء، والصبر والطيبة.

الأوقات الأخيرة جلبت اضطرابات فوق اضطرابات. وكنت قد أحسست بذلك حالما شرعت في العمل، في الثامن من شهر فبراير-شباط. وفعلا بدا لي أن الطريقة التي بها أعمل (مثل نظرتي، أكثر انفتاحا) قد تغيّرت بطريقة لن يتيسّر لي أبدا من خلالها أن أؤلف كتابا في ظرف عشرة أيام (أو عشر ليال)، بل أنا أحتاج لكل واحد من الكتب إلى وقت طويل، وغير محدد. وهذا شيء جيد، وتقدم في اتجاه هذا العمل المتواصل الذي يتوجب عليّ بلوغه مهما كان الثمن. وربما قد تكون مرحلة أولية في هذا الاتجاه. غير أن هذا التحول يَنْطَوي على خطر جديد، ألا وهو أن يكون تجنّبُ كل اضطراب خارجيّ على مدى

ثمانيـة أو عـشرة أيـام ممكنـا. لكـن هـل سـيكون ذلـك ممكنـا عـلى مـدى أسـابيع، أو أشـهر؟ هـذا التوجـس أثقـل عـليّ، وربمـا يكـون السـبب في أن عمـلي(١) الـذي كان بطيئـا في بدايـة شـهر مـارس، قـد تعطّـلَ تمامـا. ومـا أنـا اعتبرتـه فاصـلا، وتوقّفـا عـن العمـل، تحـوّل مـن دون أن أكـون قـادرا عـلى تجنبـه، إلى أسـابيع ثقيلـة لا تـزال متواصلـة إلى حـد هـذه السـاعة.

والـدتي(٢) جـاءت إلى رومـا، لا تـزال هنـا. وأنـا لا أراهـا إلاّ نـادرا. لكنـك تعلمـين أن كل لقـاء مـن لقاءاتنـا هـو بمثابـة الانتكاسـة. وفي كل مـرة أجـد نفسي مضطـرا إلى لقـاء جديـد مـع هـذه المـرأة الضائعـة، الوهميـة، والتـي بـلا ارتبـاط مـع أيّ شيء، وترفـض أن تشـيخ، ينتابنـي ذلـك الشـعور الـذي يلازمني منـذ الطفولـة، وهو أن أفـرّ منهـا. وفي أعمـق أعماقـي، بعـد سـنوات وسـنوات مـن الذهـاب والايّـاب، أخـشى ألاّ أكـون قـد ابتعـدت عنهـا بمـا فيـه كفايـة، وأننـي قـد لا أزال مُحتفظـا في جـزء مـا مـن كيـاني بحـركات هـي النصـف الآخـر مـن حركاتهـا البليـدة، وبمقاطـع مـن تلـك الذكريـات التـي تحملهـا معهـا إلى أي مـكان تذهـب إليـه. عندئـذ أنزعـج شـديد الانزعـاج مـن وَرعهـا السّـاهي، ومـن عقيدتهـا العنيـدة، ومـن كل ما مُشـوّه وممسـوخ بـه تتشـبّثُ، وهـي نفسـها شـبيهة بثـوب فـارغ، وبشـبح مخيـف. مـع ذلـك، عـليّ أن أقـول بإننـي طفلهـا، وإنـه في ذلـك الحاجـز الباهـت، المنفصـل عـن كل شيء، هنـاك بـاب متـوار، بالـكاد يُـرَى، كان مدخـلا لي إلى العـالم (إذا مـا كان بـاب كمثـل هـذا البـاب قـادرا حقـا عـلى أن يكـون مدخـلا...).

إنـه مصـدر للاضطـراب والتوجـس أن تكـون هنـاك أشياء كثيرة لا بـد مـن تعديلهـا وتقويمهـا، ودائمـا أجـدني مُفْتقـدا للشـجاعة مـن جديـد. لكـن ليـس هـذا فقـط. هنـاك أنـاس كانـوا يرغبـون في المجـيء إلى رومـا، مُظهريـن رغبـة في لقـائي (رغـم أننـي لا أخـرج أبـدا)،أو في التعـرف علـيّ. والبعـض منهـم طلـب منـي لقاءهـم، وكان علـيّ أن أرسـل العديـد مـن رسـائل الاعتـذار لكي أتجنـب ذلك. وهـا أن رومـا قـد بـدأت تنتفـخ لتصبـح مُتَكرّشَـة، وتوتونيـة (مـن التونونيـين وهـم سـكان جرمانيـا الشـمالية-المنهل) ومتحمّسـة. وفي نفـس الوقـت، بانقلابـات الريـح المفاجئـة، يكـبر الربيـع، وكل يـوم يصعـد بسرعـة فائقـة مـن صبـاح يرجـف بـردا إلى منتصـف نهـر سـاخن. ومثـل هـذا الطقـس يكـون سـببا في العديـد مـن الوعـكات الصحيـة المزعجـة. ومـن كل جـدران جناحـي، تـبرز جيـوش مـن النمـل لتقـوم بهجومـات مسـتمرة. والعقـارب الأولى ظهـرت كبـيرة، وفي غـير موعدهـا بشـكل اسـتثنائي. وهنـاك مضايقـات أخـرى تتمثـل بالخصـوص في أن الرسـام الـذي اسـتلمت منـه الأثـاث في الخريـف عـاد إلى رومـا، واسـترجع أثاثـه ضاربـا بالعقـد الـذي بيننـا بعـرض الحائـط. والآن أصبـح جناحـي الصغـير شـبه فـارغ. وكنـت قـد اعتنيـت بذلـك الأثـاث طـوال الشـتاء لتصبـح أشياؤه حميميـة بالنسـبة لي، وبهـا ارتبـط ارتباطـا وثيقـا. وأنـا الآن أواسي نفـسي بأننـي تمكنـت رغـم كل شيء مـن الاحتفـاظ ولـو ظرفيـا بمكتبـة، وبسريـر، وبطاولـة للكتابـة. وفي الصيـف لـن يكـون هنـاك سـوى شيء قليـل مـن حـولي.

والحقيقـة أن مـا يحـدث حقـا علـى مـدى الثلاثـة أو الأربعـة أيـام الماضيـة هـو أن الطقـس يوحـي بالصيـف، وليـس بالربيـع. صيـف

فتـيّ ومُكْتَنـز. وفي المسـاحة الصغـيرة أمـام الجنـاح، بعـد كثـير مـن الـتردد، أزهـار اليقونيّـات تحملـق بعيونهـا مثـل نائـم يوقظـه ناقـوس السـاعة. والآن هـي عاليـة ومسـتقيمة. أشـجار الـدردار والبلـوط القريبـة مـن البيـت أصبحـت كثيفـة. وشـجرة يهـودا فقـدت أزهارهـا، وفي ليلـة واحـدة، اكتسـبت كلّ أوراقهـا. وسَرْنَجَـة لم تكـن تمـدّ عناقيدهـا إلاّ قبـل ثلاثـة أيـام، بـدأت تذبـل وتمـوت. والليـالي ظلـت منعشـة إلى حـد مـا، ولا صـوت غـير نقيـق الضفـادع الـذي لا ينقطـع. أمـا البـوم فـلا ينعـق إلاّ نـادرا. والعندليـب لم يـشرع في غنائـه بعـد. فهـل سـيغني حـين يحـل الصيـف حقـا؟

الصيـف في رومـا. بـؤس آخـر. كنـت أظـنّ أنـه لا يـزال بعيـدا. وكنـت أعتقـد، أنـه بعـد مغـادرة أمـي، سـيكون باسـتطاعتي أن أعمـل عـلى مـدى شـهر آو شـهرين مـن دون أن أختنـق بالحـرارة. ولا زلـت آمـل في أن نسـتمتع بأنـوار الفجـر الربيعـي بعـد أيـام صيفيـة جـاءت قبـل الأوان (...).

الحديقـة الكبـيرة جميلـة رغـم أن الأزهـار القليلـة، وأن مـا يُحيـل فيهـا إلى مـا هـو رومـاني قـد يكـون صاخبـا ومفضوحـا بحيـث لا يسـتحق أن ينتسـب إلى الربيـع. حتـى تلـك المـروج الخضـراء المليئـة بشـقائق النعـمان، وبأزهـار اللؤلـؤ، تبـدو ثقيلـة وصلبـة جـدا. وتخلـو السـماوات مـن تلـك الأيـام الرماديـة خلـف الأشـجار التـي لا تـزال عاريـة، ومـن تلـك الريـاح السـحرية الكبـيرة، ومـن تلـك الأمطـار الناعمـة التـي هـي بالنسـبة لي عمـقَ الربيـع وروحـه. أنـه، للأسـف، ربيـع لأجانـب متعجلـين. ربيـع مُنَبّـه، وكثـير الجلبـة، ومتجـاوز لحـدوده. مـع ذلـك، هنـاك شـجرة في الحديقـة قـد يسـعفها الحـظ

بـأن تنتصـب في «توسـكانا»، في ديـر قديـم. وهـي شـجرة سرو كبـيرة وعتيقـة حولهـا يشـتبك غليسـيرين يـترك ذؤاباتـه البنفسـجية الخفيفـة تتسـلق الشـجرة الحالكـة إلى أقـصى أعاليهـا، ثـم تسـقط فيهـا. وكـم أنـا سـعيد بهـذا المشـهد، ينضـاف إليـه مشـهد أشـجار التـين الرائعـة بأغصانهـا المنحنيـة عـلى شـمعدانات «العهـد القديـم»، والتـي تتفتـح أوراقهـا ذات اللـون الأخـضر الفاتـح شـيئا فشـيئا.

أن أتمكـن مـن أن أتأمـل كل هـذا، وأن أتعلـم منـه مسـتقبلا في الهـدوء والصبر، هـو بحسـب مـا أنـا أشـعر بـه، نـوع مـن التقـدم ومـن التهيـؤ. لكـن، يـا عزيـزتي لـو، تطـوراتي هـي في الحقيقـة شـبيهة بالخطـوات الخافتـة لمريـض في فـترة النقاهـة، فَقَـدَ الكثـير مـن وزنـه، وهـو يترنـح، وهـو في حاجـة أكيـدة إلى مـن يسـاعده عـلى الحركـة. إلاّ أن المسـاعدة تبـدو غـير ممكنـة. لكـن يسـعفني الحديـث إليـك طويـلا، والاسـتماع إليـك. ويسـعفني أن أراك تسـكتين، وأن أقـرأ عليـك شـيئا مـا ذات يـوم... لكـن الكتابـة إليـك لهـا فضـل كبـير عـليّ هـي أيضـا يـا عزيـزتي لـو، خصوصـا عندمـا أفكـر في تلـك السـنوات التـي كنـت أفتقـر فيهـا إلى هـذا الملجـأ.

أمنية: أن تكوني مستقبلا في صحة جيدة ...

راينار

هوامش:

-١: كان ريلكـه في ذلـك الوقـت منهمـكا في كتابـة «دفاتـر مالطـة» المستوحى مـن اقامتـه في باريـس.

-٢: هي فيا ريلكه (١٨٥١-١٩٣١)

راينار ماريا ريلكه

قصائد عن الحب

-١:

الليل الخاطف من خلال طيّات الستار جاء يبحث
عن الشمس في خصلات شعرك.
أنظري، أنا لا أرغب في شيء سوى أن أمْسك بيديك
وأن أكون هادئا ولطيفا ومُفعَما بالسلام.

عندئذ ستكبر روحي حدّ أنها ستحوّل إلى شظايا
حياة كل الأيام، وستكون خارقة، وهائلة:
على أسماك حمراء غليظة الزعانف تموت في طلوع النهار
الأمواج الأولى للانهائيّ.
ميونيخ ١٨٩٦

-٢:

هل أنت متعبة إلى هذا الحد؟ أريد أن أحملك بهدوء
خارج هذه الجلبة التي تثقل عليّ منذ أمد بعيد.
جرحنا نازف تحت وطأة هذا الزمن.
أنظري، خلف الغابة التي نسير فيها مرتجفين،
ينتظرنا المساء مثل قصر مضيء.

تعالي معي. الصبح لن يعرف ذلك أبدا،
وفي المنزل لا قنديل يراقب جمالك...
عطرك يضمّخ الوسائد مثل ربيع:
النهار حطّم كل أحلامي،
فلتضفري منها تاجا.

ميونيخ ١٨٩٧

-٣: أغنية حبّ

كيف أمسك روحي لكي
لا تلامس روحك؟ كيف
أمدّها عالية فوقك باتجاه أشياء أخرى؟
كم أودّ أن أسْكنك في مكان ما، قرب
شيء ضائع في الظلّ،
في مكان غريب، هادئ، لا
يواصل الإرتجاج حين ترتجّ بواعثك القويّة.
لكن كلّ شيء يلامسنا، أنا وأنت،
يوحّدنا مثل قوْس
يَجْذب بحبلين صوتا واحدا.
على أيّ آلة موسيقية نحن مشدودان؟
وأيّ موسيقيّ يمسك بنا بيده؟
آه يا للأغنية العذبة.

جزيرة كابري ١٩٠٧

-٤

لماذا أنت أيتها الحبيبة

لست واحدة من النجوم؟

عندئذ يمكن أن أظنّ أنك تصعدين إلى الأفق

بعد المرور المتردّد للمساء

بالتأكيد،

والذي أتعرف عليه بسهولة

أنا الذي أنظر إلى اللانهائيّ،

وإلى مسافته ونوره.

باريس ١٩١٣

هل تحاولين ذلك: أن تكوني يدا في يدي

مثلما يكون الخمر خمرا في الكأس.

آه لو تحاولين ذلك.

موزو ١٩٢٥

أغنية يوم الشرق

هذا الفراش أليس شبيها بشاطئ،

بضفّة ضيّقة عليها نستلقي؟

لا شيء مؤكدا غير نهديك المنتصبين عاليا، وأشدّ باعثا للدوران من شعوري.

إذ أن هذا الليل حيث كثير من الأشياء تصرخ،

وحيث وحوش تتنادى وتمزق بعضها البعض،

أليس غريبا عنابفظاظة؟ وكيف:

الذي ينهض في الخارج ببطء والذي نسميه النهار،

هل نحن نفهمه أفضل؟

على كل واحد منا أن يتمدد في الآخر

مثل تويجات حول السدّات :

من فرط انتشار ذلك الشيء الذي لا يقدّر

والذي يتراكم ثم يندفع نحونا.

لكن وكل واحد منا يضمّ الآخر

لكي لا نراه يقترب منا ويطوقنا،

هو يمكن أن ينبثق منك، ومني:

إذ أن أرواحنا تتغذّى من الخيانة.



بالرغم من المكانة العالية التي يحتلها الشاعر الألماني راينار ماريا ريلكه في الشعر العالمي، فإنه لا يزال شبه مجهول في لغة الضاد. والترجمات القليلة التي أنجزت للبعض من آثاره لا تكاد تفي بالحاجة، خصوصا وأنها تمت عن طريق لغة ثانية، غير لغته الأم. ولأنه كان رحّالة لا يتعب، ولا يملّ فقد ترك ريلكه أعمالا شعرية تعكس أماكن ارتادها، ومدنا زارها، وتجول في متاحفها، وبحارا أحبها، وجبالا تمشّى فيها وحيدا، وأنهارا وقف أمامها متأملا مصيره، ومصير الانسانية جمعاء. كما أنه ترك لنا ايضا أعمالا شعرية تعكس قلق الانسان في القرن العشرين، وأيضا رعبه أمام الموت، وسعادته أمام الحب.

منشورات 2021
خطوط وظلال للنشر والتوزيع
الأردن، عمان، جبل الحسين، بناية (20)
ص.ب: 11190، عمّان 925220 الأردن
تلفون: 5746218 79 962+ - 4651846 6 962+
email: dar5otot@gmail.com
دار خطوط للنشر والتوزيع

9 789923 400883